دار الحديث الأشرفية البرانية

حفظ العمر

تأليف

زينة الواعظين ودرة الناصحين

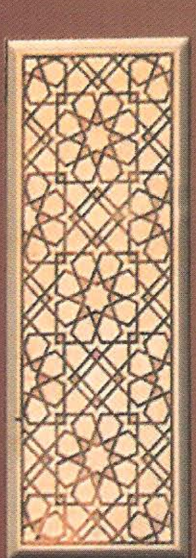
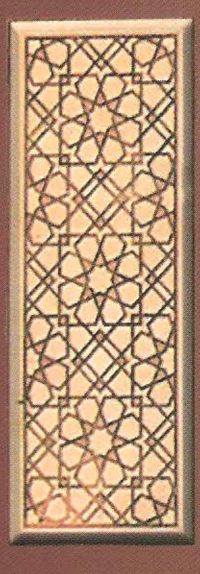
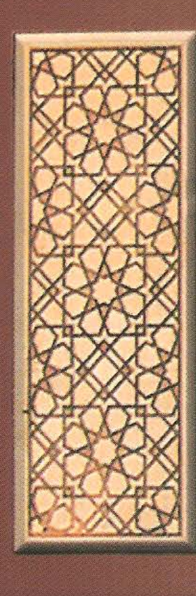
الإمام عبد الرحمن بن الجوزي

(٥٠٨ – ٥٩٧ هـ)

تحقيق وتعليق

محمد بن ناصر العجمي



المدرسة التي قُرِىءَ فيها الكتاب
دار الحديث الأشرفية البرانية الحنبلية

هذه المدرسة بناها الملك الأشرف موسى بن العادل سنة (٦٣٤هـ)، بسفح جبل قاسيون، وهي مخصوصة للحنابلة.

قال الذهبي في ترجمة عبد الله بن عبد الغني المقدسي: «بنى له الملك الأشرف دار الحديث بالسفح، وجعله شيخها، فمات قبلها»، فتولى مشيختها عبد الرحمن بن أبي عمر المقدسي.

قال النووي: «هو أجل شيوخي وأول ما ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية البرانية، وهو أول من درّس بها»، وسكن في هذه الدار برهان الدّين ابن مفلح صاحب «المبدع» في فقه الحنابلة وذريته من العلماء من بعده، وتعاقب على التدريس بها جماعة من علماء الحنابلة.



الصورة التي في الغلاف
تمثّل منبر الجامع الأُموي الأنور
وأرضية الكتاب بخط ابن الجوزي

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

شركة دار البشائر الإسلاميّة
للطّباعة والنّشر والتوزيع ش.م.م

أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥ هاتف: ٧٠٢٨٥٧
فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣ e-mail: bashaer@cyberia.net.lb

الكتب والأجزاء المقروءة
في جوامع ودور الحديث بدمشق
دار الحديث الأشرفية البرانية



حفظ العمر

تأليف

زينة الواعظين ودرة الناصحين
الإمام عبد الرحمن بن الجوزي
(٥٠٨ ـ ٥٩٧ هـ)

تحقيق وتعليق
محمد بن ناصر العجمي

دار البشائر الإسلامية



بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ افتح بخير

الحمد لله الذي رفع قدر العلماء فجعلهم ورثة الأنبياء، والصلاة والسلام على سيد الأصفياء، وعلى آله وصحبة أئمة الهدى إلى يوم النداء.

أما بعد:

فإن العلماء الربَّانيين هم زينة الأرض وجمالها، إن كانوا أحياء أفادوا العباد والبلاد بعلومهم وجميل أثرهم، وإن قبضهم المولى إليه فإن آثارهم باقية مخلدة على مَرِّ السنين والقرون.

ومن هذا الصنف من العلماء الإمام جمال الدِّين عبد الرحمن ابن علي بن الجوزي، المتوفى سنة (٥٩٧هـ)، الذي قال فيه أحد مؤرخي الإسلام: «ما علمت أحداً من العلماء صَنَّفَ ما صنَّف هذا الرجل»[١]، وما ذاك إلاَّ لأنه: «الإمام العلاَّمة، الحافظ المفسر، شيخ الإسلام»[٢].

(١) الذهبي «تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٣٣).

(٢) الذهبي «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٣٦٥).

ولهذا فهو: «علاَّمة عصره، وإمام وقته في الحديث، وصناعة الوعظ. . .»[1].

قال الحافظ ابن كثير: «. . . هذا وله في العلوم كلها اليد الطولى، والمشاركات في سائر أنواعها من التفسير والحديث والتاريخ والحساب والنظر في النجوم والطب والفقه، وغير ذلك من اللغة والنحو، وله من المصنفات في ذلك ما يضيق هذا المكان عن تعدادها وحصر أفرادها. . .»[2].

وعالم هذه صفاته وحليته فإنه لا بد من وقفات على حياته العلمية المشرقة، فهاك إياها فإنها على طرف الثُّمام:

* ابن الجوزي وشغفه بالعلم من الصغر:

يقول رحمه الله تعالى: «إني رجل حُبِّبَ إليَّ العلمُ من زمن الطفولة، فتشاغلت به، ثم لم يحبَّب إلي فن واحد، بل فنونه كلها، ثُمَّ لا تقتصر همتي في فن على بعضه، بل أروم استقصاءه. . .»[3].

وقال ابن كثير: «وكان وهو صبي ديِّناً منجمعاً على نفسه لا يخالط أحداً، ولا يأكل ما فيه شبهة. . وكان لا يلعب مع الصبيان»[4].

---

(١) ابن خلكان «وفيات الأعيان» (٣/ ١٤٠).

(٢) «البداية والنهاية» له (١٣/ ١٤٠).

(٣) «صيد الخاطر» له (ص ٦٢).

(٤) «البداية والنهاية» (١٢/ ٢٩).

قال ابن الجوزي ذاكراً حاله لابنه: «فإني أذكر نفسي ولي همة عالية وأنا في المكتب ابن ست سنين، وأنا قرين الصبيان الكبار، قد رزقت عقلاً وافراً في الصغر يزيد على عقل الشيوخ، فما أذكر أني لعبت في طريق مع الصبيان قط، ولا ضحكت ضحكاً خارجاً.

حتى إني كنت ولي سبع سنين أو نحوها أحضر رحبة المجامع، فلا أتخير حلقة مشعبة، بل أطلب المحدث فيتحدث بالسير فأحفظ جميع ما أسمعه وأذهب إلى البيت فأكتبه.

ولقد وفق لي شيخنا أبو الفضل ابن ناصر رحمه الله، وكان يحملني إلى الشيوخ، فأسمعني «المُسْند» وغيره مع الكتب الكبار، وأنا لا أعلم ما يراد مني، وضبط لي مسموعاتي إلى أن بلغت، فناولني ثبتها ولازمته إلى أن توفي رحمه الله، فنلت به معرفة الحديث والنقل.

ولقد كان الصبيان ينزلون إلى دجلة ويتفرجون على الجسر، وأنا في زمن الصغر آخذ جزءاً وأقعد حجزة من الناس إلى جانب الرقة فأتشاغل بالعلم.

ثُمَّ ألهمت الزهد فسردت الصوم، وتشاغلت بالتقلل من الطعام، وألزمت نفسي الصبر، فاستمرت، وشمرت ولازمت وعالجت السهر، ولم أقنع بفن من العلوم، بل كنت أسمع الفقه

والوعظ والحديث وأتبع الزهاد، ثُمَّ قرأت اللغة ولم أترك أحداً ممن يروي ويعظ، ولا غريباً يقدم إلاَّ وأحضره وأتخير الفضائل.

فأحسن الله تدبيري وتربيتي، وأجراني على ما هو الأصلح لي ودفع عني الأعداء والحُسَّاد ومن يكيدني، وهيَّأ لي أسباب العلم، وبعث إلي الكتب من حيث لا أحتسب.

ورزقني الفهم، وسُرعة الحفظ والحظ وجودة التصنيف، ولم يعوزني شيئاً من الدنيا، بل ساق إلي من الرزق مقدار الكفاية وأزيد، ووضع لي من القبول في قلوب الخلق فوق الحَدِّ، وأوقع كلامي في نفوسهم فلا يرتابون بصحته.

وقد أسلم على يدي نحو مائتين من أهل الذمة. ولقد تاب في مجالسي أكثر من مائة ألف.

ولقد كنت أدور على المشايخ لسماع الحديث فينقطعُ نَفَسي من العدْوِ لئلاّ أُسبق، وكنت أصبح وليس لي مأكل، وأمسي وليس لي مأكل، ما أذلني الله لمخلوق قط. ولكنه ساق رزقي لصيانة عرضي. ولو شرحت أحوالي لطال الشرح.

وها أنا قد ترى ما آلت حالي إليه، وأنا أجمعه لك في كلمة واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢]»[1].

(١) «لفتة الكبد إلى نصيحة الولد»، لابن الجوزي (ص ١٢، ١٣).

* شيوخ ابن الجوزي وأثرهم في نفسه:

شيوخ العالم بمنزلة الآباء والأمهات، فهم يربُّون الروح التي هي كالجوهر، وقد يسر الله للإمام ابن الجوزي شيوخاً أجِلّاء كان لهم الأثر البالغ في نفسه وعلمه وسلوكه.

فمنهم:

• أبو الفضل محمد بن ناصر السَّلامي:

ذكر ابن الجوزي شيخه ابن ناصر في مواضع كثيرة من كتبه، مُقرًّا له بالفضل كما سبق الإشارة منه إلى ذلك، ومما قاله فيه أيضاً: «وهو الذي تولى تسميعي الحديث من الصغر.. وعنه أخذت أكثر ما عرفت من علم الحديث، وكان كثير الذكر، سريع الدمعة»[1].

• موهوب بن أحمد الجَواليقي، أحد أئمة اللغة:

قال ابن الجوزي: «كان غزير العقل، متواضعاً، طويل الصمت، لا يقول شيئاً إلاَّ بعد التفكير الطويل واليقين، قرأت عليه كتاب «المُعَرَّب»[2] وغيره من تصانيفه، وقطعة من اللغة، وكثيراً من الأحاديث»[3].

---

(١) «المنتظم» له (١٨/ ١٠٣، ١٠٤).

(٢) طبع بتحقيق وشرح العلامة أحمد محمد شاكر.

(٣) «المنتظم» (١٨/ ٤٦، ٤٧).

● **أبـو بكر أحمد بـن محمد بـن أحمد الدِّينوري، أحد الفقهاء الأعيان، وأئمة المذهب الحَنْبَلِيِّ:**

قال ابن الجوزي: «وكان يَرق عند ذكر الصالحين ويبكي، ويقول: للعلماء عند الله قدر، فلعل الله أن يجعلني منهم، وحضرت درسه بعد موت شيخنا أبي الحسن الزاغوني نحواً من أربع سنين»[1].

● **الإمـام الحافظ، الثِّقة المُسْند، بقيَّة السَّلف، عبد الوهاب بـن المُبارك الأَنْماطي:**

قـال ابن الجوزي ذاكراً لحال هذا الإمام الصَّالح: «وما عرفنا من مشايخنا أكثر سماعاً منه، ولا أكثر كتابة للحديث، ولا أصبر على الإقراء، ولا أحسن بِشْراً ولقاءً، **ولا أسرع دمعة، ولا أكثر بكاء،** ولقد كُنْتُ أقرأ عليه الحديث في زمان الصِّبا، ولم أذق بعد طعم العِلْم، **فكان يبكي بُكاءً مُتَّصلاً، وكان ذلك البكاء يعمل في قلبي وأقول: ما يبكي هذا هكذا إلاَّ لأمرٍ عَظيمٍ، فاستفدتُ ببكائه ما لم أستفد بروايته.**

وكان مجلسه منزّهاً عن غيبة الناس، وكان رضي الله عنه على طريقة السلف، وانتفعت به ما لم أنتفع بغيره»[2].

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» (ص ٦٣٨).

(٢) «صفة الصفوة» (٢/٤٩٨، ٤٩٩) لابن الجوزي، وانظر: «المنتظم» له (١٧/٣٢ ـ ٣٤).

وقال: «كنت أقرأ عليه الحديث من أخبار الصَّالحين، فكلما قرأتها بكى وانْتَحَبَ، وَكُنَّا ننتظره يوم الجمعة بجامع المنصور، فلا يجيء من قنطرة باب البصرة، وإنما يجيء من القنطرة العتيقة، فسألته عن هذا؟ فقال: تلك كانت دار ابن معروف القاضي، فلما غَضِبَ عليه السُّلطان أخذها وبنى عليها القنطرة.

قال لنا: وسمعت أبا محمد التميمي يحكي عن ابن معروف: أنه أَحَلَّ كل من يَجُوزُ عليها، إلاَّ أني أنا لا أفعل».

وقال أيضاً: «وكانت فيه خلة أُخرى عجيبة: **لا يَغْتَابُ أحداً، ولا يُغتاب عنده**[1]، وكان صبوراً على القراء عليه، يقعد طول النهار لمن يطلب العلم، وكان سهلاً في إعارة الأجزاء لا يتوقف، ولم يكن يأخذ أجراً على العلم، ويعيب من يفعل ذلك، ويقول: عَلِّمْ مجاناً كما عُلِّمتَ مجاناً»[2].

فقل لي بربك من كان هؤلاء شيوخه، كيف سيكون؟

بِعِشْـرَتِـكَ الكـرام تُعَـدُّ منهـم فـلا تُـرَيَـنْ لغيـرهِـمُ أَلُـوفـا

---

(١) ويصدق على هذا المجلس قول ابن دريد اللغوي في «مقصورته»:

لا يَسْمَـعُ السـامـع فـي مَجْلِسِهِـمْ هُـجْـراً إذا خَـالَطَهـم ولا خَنَـا

(٢) «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب (١/ ٢٠٢، ٢٠٣)، وقال: «وذكره ابن الجوزي في عدة مواضع من كتبه كمشيخته، وطبقات الأصحاب المختصرة، والتاريخ، وصفة الصفوة، وصيد الخاطر، وأثنى عليه كثيراً».

* ابن الجوزي وعلوُّ الهمة:

ما زِلْتُ أُدْرِكُ ما غلا بل ما علا وأُكَابِدُ النَّهجَ العَسير الأطولا[1]

قال ابن الجوزي: «ونظرت إلى علو همتي فرأيته عجباً، وذلك أنني أروم من العلم ما أتيقن أني لا أصل إليه، لأنني أحب نَيْلَ كلِّ العلوم على اختلاف فنونها، وأريد استقصاءَ كلِّ فن، وهذا أمرٌ يعجز العمر عن بعضه فإن عرض لي ذو همَّة في فن قد بلغ منتهاه رأيته ناقصاً في غيره، فلا أعدُّ همته تامة»[2].

وهو يشتكي من علوِّ همَّته فيقول: «ما ابتلي الإنسان قط بأعظم من علوّ همته، فإنّ مَنْ عَلَتْ همته يختار المعالي، وقد لا يساعد الزمان، وقد تضعفُ الآلة فيبقى في عذاب، وإني أعطيت من علو الهمة طرفاً فأنا به في عذاب، ولا أقول ليته لم يكن فإنه لا يحلو العيش بقدر عدم العقل، والعاقل لا يختار زيادة اللذة بنقصان العقل»[3].

وكانت هذه الهمة رفيقته حتى آخر عمره، فهو يقول: «خلقت لي همة عالية تطلب الغايات، بلغت الستين وما بلغت ما أملت، فأخذت أسأل الله تطويل العمر، وتقوية البدن، وبلوغ الآمال،

---

(١) هذا البيت لابن الجوزي، انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١٢/ ٢٩).

(٢) «صيد الخاطر» له (ص ٦٢).

(٣) المصدر السابق (ص ٢١٥).

فأنكرت عليَّ العاداتُ وقالت: ما جرت عادة بما تطلب. فقلت: إنما أطلب من قادر على تجاوز العادات»[1].

وهو يبين لطالب الكمال حال علوّ همته في الاطلاع، ويتعوذ بالله من الذين لا همة لهم فيقول: «سبيلُ طالب الكمال في طلب العلم: الاطلاعُ على الكتب التي قد تخلَّفت من المصنفات، فليُكثِر من المطالعة، فإنه يرى من علوم القوم وَعُلُوِّ هِمَمِهِم ما يشحذ خاطره، ويحرك عزيمته للجِدّ. وما يخلو كتاب من فائدة.

وأعوذ بالله من سِيَرِ هؤلاء الذين نعاشرهم، لا نرى فيهم ذا همة عالية فيَقتدي بها المبتدي، ولا صاحبَ ورع فيستفيد منه المتزهِّد، فاللَّـهَ اللَّـهَ، وعليكم بملاحظة سِيَرِ القوم، ومطالعةِ تصانيفهم وأخبارهم، فالاستكثارُ من مطالعةِ كتبهم، رُؤيةٌ لهم كما قال:

فاتني أن أَرَى الديارَ بطَرْفي فلعلّي أَرَى الديارَ بسَمْعي

وإني أُخبِرُ عن حالي، ما أشبعُ من مطالعةِ الكتب، وإذا رأيت كتاباً لم أره فكأني وقعتُ على كنز.

ولقد نظرتُ في ثَبَت الكتب الموقوفة في المدرسة النظامية، فإذا به يحتوي على نحو ستة آلاف مجلد، وفي ثَبَت كتب أبي حنيفة، وكتب الحُمَيدي، وكتب شيخنا عبد الوهاب ــ يعني الأنماطي ــ ، وابن ناصر، وكتب أبي محمد الخشّاب وكانت

(١) المصدر السابق (ص ٢٢٦).

أحمالاً، وغيرِ ذلك من كل كتاب أقدر عليه، ولو قلتُ: إني قد طالعتُ عشرين ألفَ مجلد كان أكثر، وأنا بَعْدُ في الطلب.

فاستفدتُ بالنظر فيها من ملاحظة سِيَرِ القوم، وقَدْرِ هِمَمِهِم وَحِفْظِهِم، وعباداتهم، وغرائبِ علومهم، ما لا يعرفه من لم يطالع، فصرتُ أستزري ما الناسُ فيه، وأحتقِرُ هِمَمَ الطلاب، ولله الحمد»[1].

* همته وهو في الثمانين من عمره:

لما أوذي ابن الجوزي ونفي إلى واسط قرأ بها القرآن الكريم بالقراءات العشر على ابن الباقلاني، وكانت سنّه يومئذ ابن ثمانين.

قال الحافظ الذهبي: «فانظر إلى هذه الهمة العالية»[2].

* نصيحته في كيفِيَّة تسنُّمِ الهِمَّة العالية:

ومما ذكر في هذا الباب قوله: «مقاطعة أهل الدناءة أنفة منهم ومواصلة أرباب الهمم العالية ثم التفكر بالعواقب ومآل الدناءة ومصير أولي الجد والاجتهاد... ومن تفكر في المرتفعين في الهمم علم أنهم كهو من حيث الأصلية والآدمية، غير أن حب البطالة والراحة جنيا عليه فأوثقاه، فساروا وهو قاعد، ولو حرَّك قدم العزم لوصل، قال الشاعر:

---

(١) المصدر السابق (ص ٣٧٥).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٣٧٧)، وذكر فيه (٢١/ ٣٧٦) ما حصل له من إيذاء وتشريد لعياله وحبسه لوحده في بيت حرج.

اذا أَعْجَبَتْـكَ خِصَـالُ امْـرِئٍ فكنْـهُ تكـنْ مثـلَ مـا أعجبَـكْ
فليسَ علـى الجـودِ والْمَكْرُمَـاتِ إذا جئتَهـا حـاجـبٌ يحْجُبُـكْ

ومن نظر في أخبار السلف رأى عموم الفقهاء والعلماء وأكثر المشار إليهم بذلك من الموالي ومن الضعفاء وأهل الحرف الدنية، إلاَّ أن الهمم أثَّرت فأثارت عن موطن...»[1].

وذكر أن من معالم علوِّ الهمة: «صحبة الأخيار والبعد عن الأشرار، ودراسة القرآن والأخبار، وإجادة الفكر في الجنة والنار، ومطالعة سِيَر الحكماء والزهاد»[2].

* ابن الجوزي وحفظه التَّام للوقت:

قال رحمه الله تعالى: «أعوذ بالله من صُحبةِ البطَّالين! لقد رأيت خلقاً كثيراً يَجرون معي فيما اعتاده الناس من كثرة الزيارة، ويسمون ذلك التردد: خدمة! ويطيلون الجلوس، ويُجْرون فيه أحاديثَ الناس وما لا يَعني، ويتخلله غِيبة. وهذا شيء يفعله في زماننا كثير من الناس، وربما طلبه المَزُور، وتشوَّق إليه، واستَوْحَشَ من الوحدة، وخصوصاً في أيام التهاني والأعياد، فتراهم يمشي بعضهم إلى بعض، ولا يقتصرون على الهناء والسلام، بل يَمزِجون ذلك بما ذكرته من تضييع الزمان!

---

(١) «الطب الروحاني» له (ص ٥٥).

(٢) المصدر السابق (ص ٥٨).

فلما رأيت أن الزمان أشرَفُ شيء، والواجبَ انتهابُه بفعل الخير، كرهتُ ذلك وبَقِيتُ معهم بين أمرين: إن أنكرتُ عليهم وقَعتْ وحشة لموضع قطع المألوف، وإن تَقَبَّلتُه منهم ضاع الزمان! فصرتُ أدافعُ اللقاءَ جهدي، فإذا غُلِبتُ قَصَّرت في الكلام لأتعجَّل الفراق. ثم أعددتُ أعمالاً لا تمنع من المحادثة، لأوقات لقائهم، لئلا يمضي الزمان فارغاً، فجعلتُ من الاستعداد للقائهم قَطْعَ الكاغد ـ أي قصَّ الورق ـ وبَرْيَ الأقلام، وحَزْمَ الدفاتر، فإن هذه الأشياء لا بد منها، ولا تحتاج إلى فكر وحضور قلب، فأرصدتها لأوقات زيارتهم، لئلا يضيع شيء من وقتي.

نسأل الله عز وجل أن يعرّفنا شَرَفَ أوقات العمر، وأن يوفقنا لاغتنامه.

ولقد شاهدت خلقاً كثيراً لا يعرفون معنى الحياة، فمنهم من أغناه الله عن التكسب بكثرة ماله، فهو يقعد في السوق أكثرَ النهار ينظرُ إلى الناس، وكم تمر به من آفة ومنكر. ومنهم من يخلو بلعب الشطرنج، ومنهم من يقطع الزمان بحكاية الحوادث عن السلاطين والغَلاء والرُّخْص إلى غير ذلك، فعلمتُ أن الله تعالى لم يُطْلع على شرف العمر ومعرفةِ قدر أوقاتِ العافية إلاَّ من وفَّقه وألهمه اغتنامَ ذلك ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٥][1].

(١) «صيد الخاطر» له (ص ٢٠٦، ٢٠٧).

* **كثرة مؤلفاته نتيجة حفظه لوقته:**

ذكر الحافظ ابن رجب الحنبلي عن شيخ الإسلام ابن تيمية أنه قال في الأجوبة المصرية: «كان الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي كثير التصنيف والتأليف، وله مصنفات في أمور كثيرة، حتى عددتها فرأيتها أكثر من ألف مصنَّف، ورأيت بعد ذلك ما لم أره»[(١)].

قال الحافظ الذهبي بعد ذكره لطائفة كثيرة من مؤلفات ابن الجوزي: «وما علمتُ أحداً من العلماء صَنَّفَ ما صَنَّفَ هذا الرجل». ثُمَّ نَقَلَ عن الموفق عبد اللطيف قولَه في ابن الجوزي: «إنه لا يضيع من زمانه شيئاً، وكان يكتب في اليوم أربعة كراريس ــ أي مع اشتغاله بالتدريس والتأليف وإفتاء السائلين ــ، وله في كل علم مشاركة»[(٢)].

قال ابن خلكان: ويقال: إنه جمعت الكراريس التي كتبها وحسبت مدة عمره، وقُسِّمت الكراريس على المدة فكان ما خص كل يوم تسع كراريس، وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله العقل، ويقال: إنه جمعت بُراية أقلامه التي كتب بها حديث رسول الله ﷺ فحصل منها شيء كثير، وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يُغسل به بعد موته، فَفُعل ذلك، فكفت وفضل منها»[(٣)].

---

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب (١/ ٤١٥).

(٢) «تذكرة الحفاظ» للذهبي (٤/ ١٣٤٤).

(٣) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٣/ ١٤١).

* سرعة جواب ابن الجوزي وحدة ذكائه في الحقِّ:

قال اليافعي: «ومن نوادره ما سمعت من بعض أهل العلم يحكي أن الخليفة غضب على إنسان من حاشيته، فأراد أن يعاقبه فهرب، فلزم أخاه وصادره وأخذ له مالاً، فشكى ذلك المصادَر إلى ابن الجوزي وذكر له القضية، فقال له: إذا انقضى مجلس وعظي فقم قدامي حتى تذكّرني، وكان الخليفة يسمع وعظه من خلف، فلما كان أول مجالسته للوعظ بعد ذلك وانقضى المجلس، قام ذلك الإنسان المصادر، فلما رآه الشيخ أبو الفرج أنشد معرِّضاً بكون البريء لا يؤخذ بذنب الجريء محرضاً للخليفة على العدل والإحسان، وأن يعاد المال المأخوذ على ذلك الإنسان:

قِفِي ثُمَّ اخْبِرينا يا سعادُ ... بذنْبِ الطرْفِ لِمْ سُلِبَ الفُؤادُ
وَأَيُّ قَضِيَّةٍ حكمتْ إذا ما ... جَنَى زَيْدٌ بِهِ عَمْرٌو يُقادُ
يُعادُ حديثُكُم فيزيدُ حُسْناً ... وقدْ يُسْتَحْسَنُ الشَّيءُ المُعادُ

فقال الخليفة من وراء الستر: يعاد ــ يعني المال ــ، فأعيد على ذلك الشخص ماله وانجبر حاله»[1].

وقال له رجلٌ: ما نمتُ البارحةَ من شوقي إلى المجلسِ قال: لأنَّك تريدُ الفرجةَ، وإنَّما ينبغي الليلةَ أن لا تنامَ!

وقامَ إليهِ رجلٌ بغيضٌ، فقال: يا سيِّدي، نريدُ كلمةً ننقُلُها عنك،

---

(١) «مرآة الجنان» لليافعي (٣/ ٤٩٠، ٤٩١).

أيُّما أفضلُ أبو بكرٍ أَوْ عليٌّ؟ فقال: اجلسْ، فجلَسَ، ثُمَّ قَامَ، فأعاد مقالَته، فأقعده، ثم قامَ، فقالَ: اقعدْ، فأنتَ أفْضَلُ[1] من كلِّ أحدٍ.

سأله آخَرُ: أَيُّما أفضَلُ: أُسبِّحُ أو أستغفرُ؟ قال: الثَّوبُ الوسخُ أحوجُ إلى الصابونِ من البخور.

وقال في حديث: «أعمارُ أمَّتي ما بين الستِّين إلى السبعين»: إنَّما طَالَتْ أعمارُ الأوائلِ لطولِ الباديةِ، فلما شارفَ الركبُ بَلَدَ الإقامةِ، قيل: حثُّوا المَطِيَّ.

وقال: من قَنَعَ طابَ عيشُهُ، ومن طمع طالَ طيشُهُ.

وقال يوماً في وعظه:

يا أمير المؤمنين، إنْ تكلَّمتُ، خفتُ منْك، وإنْ سَكَتُّ، خِفْتُ عليك، وأنا أُقدِّمُ خوفي عليكَ على خوفي منك، فقول الناصح: اتقِ الله، خيرٌ من قولِ القائل: أنتم أهلُ بيتٍ مغفورٌ لكم.

وقال: يفتخر فرعونُ مصرَ بنهرٍ ما أجراهُ، ما أجرأه![2].

قال ابن خلكان: «وكانت له في مجالس الوعظ أجوبة نادرة، فمن أحسن ما يحكى عنه أنه وقع النزاع ببغداد بين أهل السنَّة والشيعة في المفاضلة بين أبي بكر وعلي، رضي الله عنهما، فرضي الكل بما يجيب به الشيخ أبو الفرج، فأقاما شخصاً سأله عن ذلك وهو على

(١) يعني من الفضول.

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢١/ ٣٧١، ٣٧٢).

الكرسي في مجلس وعظه، فقال: أفضلهما مَنْ كانت ابنته تحته، ونزل في الحال حتى لا يراجَعَ في ذلك، فقالت السنَّة: هو أبو بكر لأن ابنته عائشة رضي الله عنها تحت رسول الله ﷺ، وقالت الشيعة: هو علي لأن فاطمة ابنة رسول الله ﷺ تحته، وهذا من لطائف الأجوبة، ولو حصل بعد الفكر التام وإمعان النظر كان في غاية الحسن فضلاً عن البديهة. وله محاسن كثيرة يطول شرحها»[1].

قال الحافظ الذَّهبي بعد سياقه لبعض ما مضى من أجوبته وكلامه: «وهذا باب يطول، ففي كتبه النفائس من هذا وأمثاله»[2].

هذا هو الإمام الجليل الحاوي لكثير من العلم والفضل[3]، وصدق فيه قول قائلهم:

وكانَ مِنَ العلومِ بحيثُ يُقضَى ... لهُ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ بالجميعِ

وبعد: فهل أعجبتك هذه اللمحات المشرقة أيها القارىء الفطن، والذكي المتقن، أرجو ذلك، وإلاَّ فإن الحال كما قيل:

إنَّ الذي قلتُ بعضٌ من مناقِبِهِ ... ما زِدتُ إلاَّ لعلِّي زدتُ نُقْصاناً

❑ ❑ ❑

(١) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٣/ ١٤١، ١٤٢).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢١/ ٣٧٢).

(٣) أشرت بشيء من الإسهاب في مقدمة تحقيقي لكتابه الآخر «تنبيه النائم الغمر» إلى جانبه المبرز فيه ألا وهو الوعظ، فانظره إن شئت.

وصف النسخ المعتمدة في التحقيق

وقفت لهذه الرسالة على نسختين:

الأولى: نسخة مكتبة الصافي[1] الملحقة بمكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة النبوية الشريفة بقرب المسجد النبوي برقم (٩/ ٨٠)، ضمن مجموع رسائل، وتقع في (٧) ورقات، وعدد الأسطر فيها (٢٩) سطراً، وهي بخط نسخي معتاد، وناسخها هو مصطفى بن فتح الله الحموي الشافعي[2]، وكان نسخه لها في الثامن عشر من

---

(١) هذه المكتبة أوقفها صافي عبد الرحمن الجفري سنة (١٣٣٧هـ)، وكان في عهد السلطان عبد الحميد يقوم بخدمة الحرم النبوي الشريف من إضاءة القناديل وغيرها، بالإضافة إلى أعماله التجارية، وفتح هذه المكتبة في حياته يستقبل فيها الراغبين في المطالعة والقراءة، ثُمَّ بعد وفاته آلت إلى إدارة الأوقاف لضمها إلى مكتبة المدينة العامة، وهي تحتوي على (٢٠٢) مخطوط، انظر: «مكتبة الملك عبد العزيز بين الماضي والحاضر»، للدكتور عبد الرحمن المزيني (ص ١٤٤).

(٢) هو المؤرخ الشيخ مصطفى بن فتح الله الشافعي الحموي، مؤرخ أصله من حماة، رحل منها إلى دمشق وقرأ على بعض علمائها وسافر إلى اليمن وأخذ أيضاً عن علمائها، واستقر بمكة، توفي سنة (١١٢٣هـ) بذمار من أرض اليمن، =

ذي القعدة سنة (١١٢١هـ)، وذلك بمكة المشرفة.

وأسانيد المصنف مثبتة في هذه النسخة، وكذا أسانيد المخرِّجين لبعض الأحاديث والآثار، إلاَّ أن الناسخ قد وقع له بعض التحريفات في نقله لها. ورمزت لها بالأصل.

الثانية: نسخة أصلها من مكتبة العلاَّمة جمال الدين القاسمي بدمشق، وهي في مكتبة الملك فهد بالرياض (من غير ترقيم بعد)، ضمن مجموع رسائل، وتقع في (١١) ورقة، وهي بخط فارسي لطيف، وعدد الأسطر فيها (٢٣) سطراً، وناسخها هو العلامة جمال الدِّين القاسمي، وقد انتهى من نسخه في **٢٩** من ذي الحجة سنة (١٣٠٣هـ)، وهي نسخة محذوفة الأسانيد مع عدم ترتيب ــ وهو قليل ــ في سياق الأخبار، ورمزت لها بحرف (ق).

هذا، وقد عنيت بها وخرّجت ما فيها من الأحاديث والآثار والأخبار إلاَّ النزر اليسير منها، مع إصلاح ما وقع من تحريف في الأسانيد من النسخة الأصل.

= وهو صاحب كتاب «فوائد الارتحال» في ثلاثة مجلدات النصف الثاني منه بدار الكتب المصرية (١٠٩٣)، ترجمته في «سلك الدرر» للمرادي (١٧٨/٤)، و «الأعلام» للزركلي (٢٣٨/٧).

الورقة الأولى من نسخة مكتبة الصافي بالمدينة الشريفة

أيامها فإذا هي أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال
يا ويلتي ألقى المليك بأحد وعشرين ألف ذنب كيف وفي كل يوم
عشرة آلاف ذنب ثم خر مغشيا عليه فإذا هو ميت فسمعوا قائلا
يقول يا لك ركضة إلى الفردوس الأعلى • وقد أشرنا في هذا الكتاب
إلى ما يكفي فيما قصدناه وسير المجتهدين كثيرة وإنما ذكرنا نبذة من
أمهات السير والمعاني فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره
للإسلام • ويستحب لمن نظر في كتابنا هذا أن يضيف إليه
كتاب العزلة فإنه أصل في مبادرة العمر وكتاب الإخلاص فهو
أصل الأصول • نسأل الله عز وجل توفيقا يحرسنا من الزلل
ويحثنا على الجد والإخلاص في العمل • والله الموفق

• انتهى كتاب حفظ العمر لأبي الفرج بن الجوزي رحمه الله وقدس سره •
• ظهر يوم الأحد ثامن عشر ذي القعدة الحرام سنة ألف ومائة •
• وإحدى وعشرين بمكة المشرفة وكتبه العبد مصطفى بن فتح الله •
• الحموي الحنفي عفا الله عنهما بمنه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم •

بلغ مقابلة على أصله [illegible] والحمد

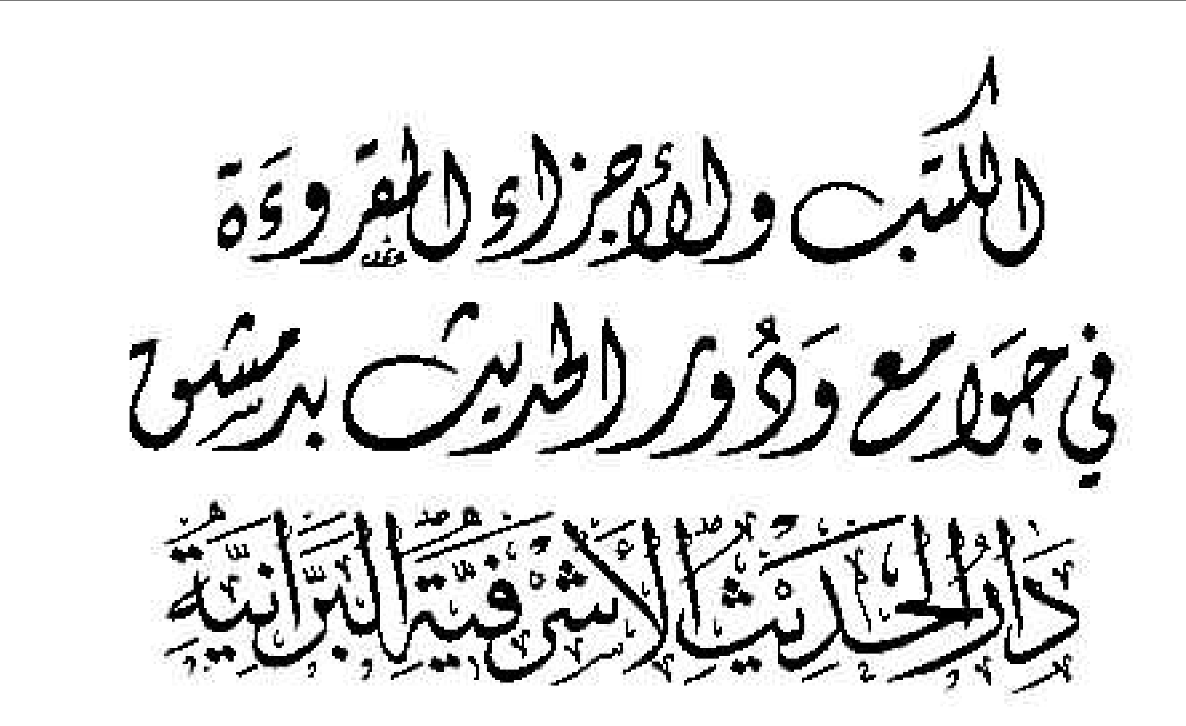
الورقة الأخيرة من نسخة مكتبة الصافي بالمدينة الشريفة

الورقة الأولى من نسخة العلامة القاسمي

محاسبا لنفسه فحسب عمره ذات يوم فاذا
هو ابن ستين سنة فحسب ايامها فاذا
هي احدى وعشرون الف يوم وستمائة
يوم فصرخ وقال يا ويلنا القى المليك
باحد وعشرين الف ذنب كيف وفي
كل يوم عشرة الاف ذنب ثم خر
مغشيا عليه فاذا هو ميت فسمعوا
هاتفا يقول يا لك ركضة الى الفردوس
الاعلى قال المولف رحمه الله تعالى
عليه فقد اشرنا في هذا الكتاب الى ما يكفي
(ربما) قصدناه وسير المجتهدين كثيرة وانما
ذكرنا نبذة من امهات الكبير للمعاني فمن
يرد الله تعالى ان يهديه يشرح صدره
للاسلام ويستحب لمن نظر في كتابنا
هذا ان يضيف اليه كتاب العزلة فانه
اصل في مبادرة العمر وكتاب الاخلاص
في اصول الاصول ونسأل الله سبحانه
وتعالى توفيقا يحسابه من الزلل
ويحثنا على الجد والاخلاص في العمل
بمنه وكرمه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم علقه الحقير الذليل الضعيف
العاجز المفتقر الى رحمة ربه المتين

٢٩
ذي الحجة الحرام ختام سنة ١٣٠٣

الورقة الأخيرة من نسخة العلاّمة القاسمي





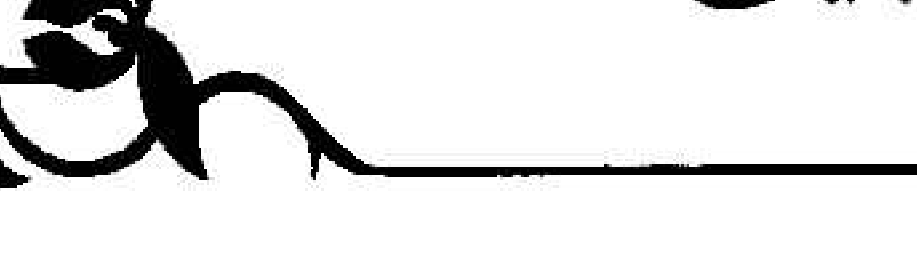
تأليف

زينة الواعظين ودرة الناصحين
الإمام عبد الرحمن بن الجوزي

(٥٠٨ ـ ٥٩٧ هـ)

تحقيق وتعليق

محمد بن ناصر العجمي





بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام، الحافظ جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرحمن ابن علي بن محمد بن علي الجَوْزي رحمه الله:

الحَمْدُ لله الذي جَعَلَ عُمُرَ الآدميِّ سَفراً إلى الأُخرى طويلاً وقصيراً، فسار النَّاس ببضائع الأعمال، فَرَبِحَ المُتيقِّظون رِبْحاً كثيراً، وهَلَكَ المُفَرِّطون، فكل منهم عاد مسكيناً فقيراً، عَرضت لهم الشَّهوات في بَرِّ البر فصارَ الجاهل لها أسيراً، فجدله[1] سَبُعُ الهوى فَجَنْدَلَهُ، فَلَقي هَوْناً وتغييراً، وكم حثَّه الشَّرع على الجدِّ، كما يحث المستأجر أجيراً، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٢].

أحمده حَمْدَ من جعل حمده مصباحاً وشَهِيراً[2]، وأُصلي على رسوله المبعوث بشيراً ونذيراً، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، ورزقنا حسن اتباعه ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٥٤].

---

(١) في (ق): «فخذله».

(٢) في (ق): «وسميراً».

أما بعد: فإني رأيت العمر بضاعة للآدمي، فعجبت من تفريط النَّاس فيه، كأنهم ما علموا أن الدُّنيا ميدان شِقَاق، وأن غاية العمر الغاية، إلَّا أن التفاضل في السِّبَاق على مِقْدار الهَمِّ، وتفاوت الهمم على قدر الإيمان بالآخرة، فمن صدَق يقينه جدّ، ومن تيقّن طول الطريق استعدّ، ومن قلَّت معرفته تثبط، ومن لم يعرف المقصود تخبط.

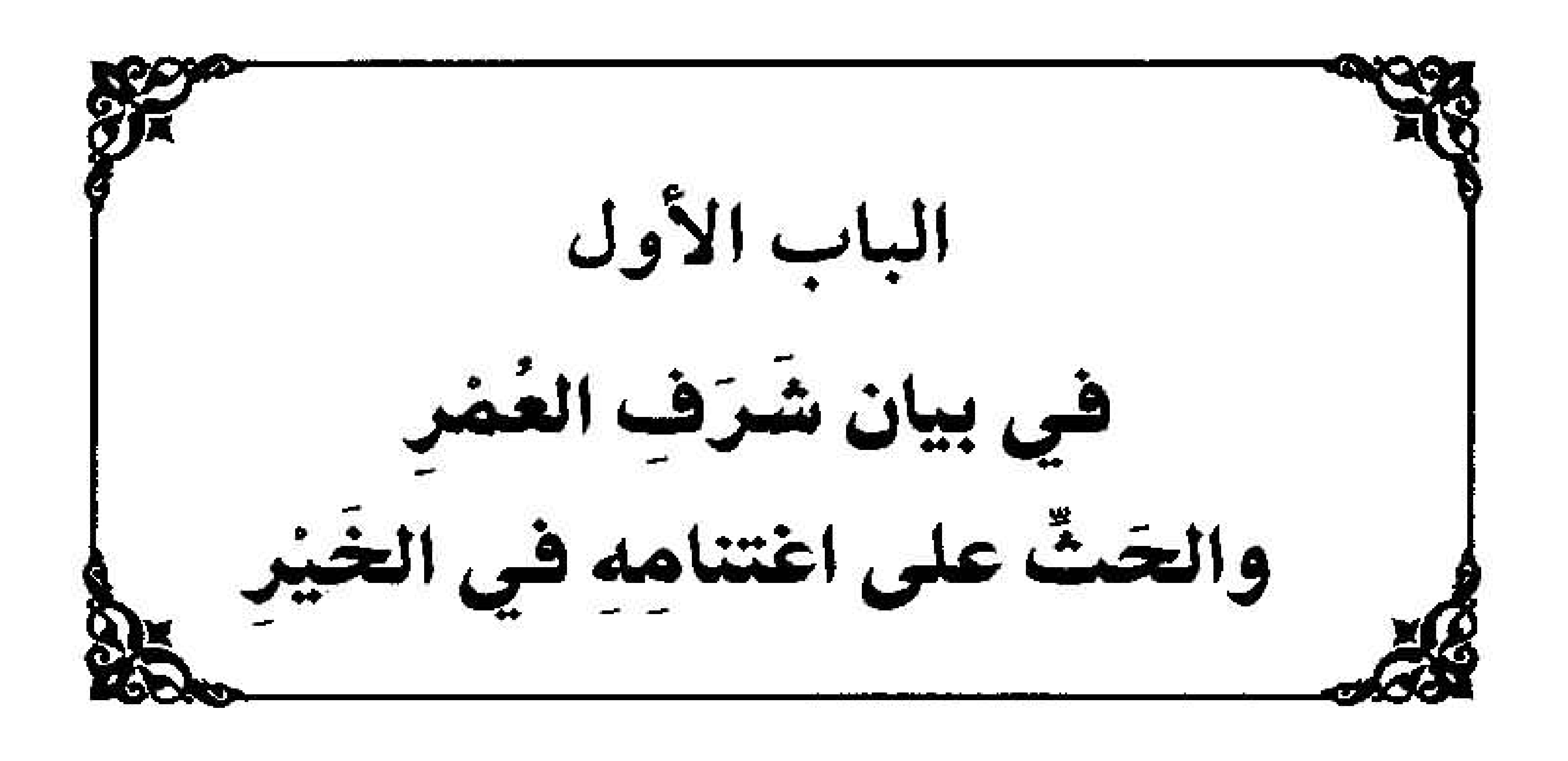
وقد رتبت هذا الكتاب على ثلاثة أبواب:

الباب الأول: في بيان شَرَفِ العُمْرِ والحثِّ على اغتنامِهِ في الخَيْرِ.

الباب الثاني: في ذِكْرِ من كانَ يُبادِرُ العُمْرَ ويُبالِغُ في حِفْظِ لحظاتِهِ.

الباب الثالث: في ذِكْرِ سَبَبِ تضييعِ العُمْرِ.

❑ ❑ ❑



الباب الأول
في بيان شَرَفِ العُمْرِ
والحَثِّ على اغتنامِهِ في الخَيْرِ

* أخبرنا أبو القاسم هِبَة الله بن محمد بن الحُصين، أنا أبو علي الحسن بن علي التَّميمي، أنا أبو بكر أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، ثنا مكي بن إبراهيم، ثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هِنْد، أنه سمع أباه يخبر عن ابن عباس، أنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الصِّحةَ والفَراغَ، نِعْمَتانِ مِنْ نِعَمِ الله عزَّ وجلَّ، مَغْبُونٌ فيهما كثيرٌ مِنَ النَّاسِ»[1].

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٥٨، ٣٤٤)، والبخاري (٦٤١٢).

قال المصنف رحمه الله تعالى في كتابه الآخر: «كشف المُشكل من حديث الصحيحين» (٢/ ٤٣٧): «اعلم أنه قد يكون الإنسان صحيحاً ولا يكون متفرغاً للعبادة لاشتغاله بأسباب المعاش، وقد يكون مُتَفَرِّغاً من الأشغالِ ولا يكون صحيحاً، فإذا اجتمعا للعبد ثُمَّ غلب عليه الكسل عن نيلِ الفضائل، فذاك الغَبن، كيف والدُّنيا سوق الرِّباح، والعمر أقصر، والعوائق أكثر».

* قال أحمد: حدثنا عليُّ بن إسحاق، أنا عبد الله ــ يعني: ابن المبارك ــ ، ثنا أبو بكر بن أبـي مريم، عن ضَمْرة بن حَبيب، عن شَدَّاد بن أوس قال:

قال رسول الله ﷺ: «الكَيِّسُ مَنْ دانَ نَفْسَهُ، وعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، والعاجِزُ من أَتْبَع نَفْسَهُ هَوَاها، وتَمَنَّى على الله عز وجل الأَماني»[1].

* أخبرنا الكَروخي، أنا أبو عامر الأَزْدي، وأبو بكر الغُورَجي قالا: أنا ابن الجرّاح، ثنا ابن محبوب، ثنا التِّرْمذي، ثنا أبو مصعب، عن محرز بن عون، عن عبد الرحمن الأعرج:

عن أبـي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بادرُوا بالأَعْمالِ سَبْعاً: هَلْ تنْتظرونَ إلاَّ فَقْراً مُنْسِياً، أو غِنىً مُطْغِياً، أو مَرَضاً مُفْسِداً، أو هَرَماً مُفَنِّداً، أو مَوْتاً مُجْهِزاً، أو الدَّجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أو السَّاعةَ فالسَّاعَةُ أَدْهَى وأَمَرُّ»[2].

(١) أخرجه عبد الله بن المبارك في «الزهد» (١٧١)، ومن طريقه أحمد (٤/ ١٢٤)، والترمذي (٢٤٥٩)، والطبراني في «الكبير» (٧١٤٣)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٧، ٤/ ٢٥١) وإسناده ضعيف. أبو بكر بن أبـي مريم ضعيف الحديث.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٠٧)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٤٣٤)، وإسناده ضعيف فيه محرز بن هارون ضعفوه وتركه بعض الأئمة.

ويغني عنه ما أخرجه مسلم (٢٩٤٧) من حديث أبـي هريرة مرفوعاً: «بادروا بالأَعْمَالِ سِتّاً: طُلوع الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِها، أو الدُّخان، أو الدَّجَّال، أو الدَّابة، أو خاصَّة أَحَدِكُمْ أَوْ أَمْرَ العامَّةِ». =

* **أخبرنا** هبة الله بن أحمد الجُريري، أنا أبو طالب العُشاري، [حدثنا أبو الحسين ابن سمعون، قال: حدثنا محمد بن مخلد العطّار، قال: حدثنا عنبس بن إسماعيل، قال:] ابن سمعون ــ وهو جد أبي ــ، قال: حدثنا [أصرم] يعني ابن حوشب، ثنا قُرَّةُ بن خالد، عن الضَّحاك، عن ابن عباس قال:

قال رسول الله ﷺ: «اليَوْمَ الرِّهانُ، وغداً السِّباقُ، والغَايةُ الجَنَّةُ، والهالِكُ مَنْ دَخَلَ النَّارَ»(١).

* **أخبرنا** محمد بن ناصر، أنا المبارك بن عبد الجبار، ثنا إبراهيم بن عمر البرمكي بن بخيت، أنا أبو جعفر بن ذريح، ثنا هناد بن السري، ثنا محمد بن فضيل، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن عبد الله القرشي، عن عبد الله بن عُكيم قال:

خطبنا أبو بكر فقال: أُوصيكم بتقوى الله، وسابقوا في مُهَل آجالكم قبل أن تنقضي آجالكم، فيردَّكم إلى أسوأ أعمالكم، فإنَّ

= وقوله: «خاصَّة أحدكم»، أي الموت أو شواغل النفس.
وقوله: «أمر العامَّة»: القيامة.

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ١١٨، ١١٩)، وفي «الأوسط» (٦٠٩)، وابن عدي في «الكامل» (١/ ٣٥٩)، والخطيب البغدادي في «تاريخه» (٧/ ٣١)، وابن سمعون في «الأمالي» (٢١) ومن طريقه المصنف في كتابه «الحدائق» (٣/ ٢٢٤) وما بين المعقوفتين منه، وإسناده ضعيف جدّاً، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٢٨): «وفيه أصرم بن حوشب، وهو متروك». =

أقواماً جعلوا آجالهم لغيرهم، ونسوا أنفسَهم، فأنهاكم أن تكونوا أمثالَهم، الوَحَا الوَحا، النجا النجا، إنّ وراءكم طالباً حثيثاً، مَرُّهُ سريعٌ[1].

* **أخبرنا** عبد الله بن علي المقري، أنا علي بن محمد العلاّف، أخبرنا عبد الملك بن بشران، أنا أبو بكر الآجري، ثنا بكر بن أحمد، ثنا هارون بن عبد الله البزاز، ثنا سفيان بن عيينة، عن جعفر بن برقان، عن ثابت بن الحجاج أنه قال:

قال عمر: حاسبوا أَنفُسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أَهون عليكم في الحساب غداً أن تُحاسِبوا أنفسكم اليومَ، وتزيَّنوا للعَرْضِ الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾[2] [الحاقة: ١٨].

* **أخبرنا** محمد بـن ناصر، أنا جعفر بن أحمد، أنا أبو علي ابن المُذْهِب، ثنا أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبـي، ثنا وكيع، ثنا سفيان، عن الأعمش، عن مالك بن الحارث، قال:

---

(١) أخرجه هناد بن السري في «الزهد» (٤٩٥)، وابن أبـي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٢٥٨).

(٢) في أول الإسناد سقط، وذلك لعدم جودة النسخة، والأثر: أخرجه أحمد في «الزهد» (ص ١٢٠)، وابن أبـي الدنيا في «محاسبة النفس» (٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٥٢)، وذكره المصنف في كتابه الآخر «الحدائق» (٣/ ١٨٥).

قال عمر: التؤدة في كلِّ شيء خَيْرٌ، إلاَّ ما كان من أمْرِ الآخرة[1].

* قال وكيع: وحدثنا الأعمش، عن المسيّب بن رافع، قال:

قال عبد الله: إني لأبغض الرجلَ فارغاً ليس في شيء من عمل الدُّنيا، ولا من عمل الآخرة[2].

* قال أحمد: وثنا عبد الله بن يزيد، ثنا سعيد هو ابن أبي أيوب، حدثني عبد الله بن الوليد، قال: سمعت عبد الرحمن بن حُجَيرة يُحدِّث عن أبيه:

عن ابن مسعود أنه كان يقول: إنكم في ممرِّ الليل والنَّهار، في آجال منقوصةٍ، وأعمالٍ محفوظةٍ، والموت يأتي بغتة، فمن زرع خيراً يُوشِكُ أن يحصُدَ رغبةً، ومَن زرع شرّاً يوشك أن يحصد ندامةً، ولكل زارع ما زرع[3].

* وقال ابن عباس: تَزوَّجَ التواني بالكسلِ، فولدَ بينهما الفقر[4].

---

(1) «الزهد» لأحمد (ص ١١٩)، و«قصر الأمل» لابن أبي الدنيا (١٣٩).

(2) أخرجه وكيع بن الجراح في «الزهد» (٣٦٩)، وأحمد في «الزهد» (ص ١٥٩).

(3) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص ١٦١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٣٤).

(4) «الحدائق» للمصنف (٣/ ٢٢٨) وبعد هذا الأثر زيادة في نسخة (ق)، وهي:

وإنَّ التَّواني زَوَّجَ العَجْزَ ابنه ... وَأَمْهَرَها لَمَّا تَزَوجها مَهْرا
فِراشاً وطيّاً ثُمَّ قال أنِ أرقدا ... فإن عِشتُما لا بُدَّ أن تَلِدا فَقْرا

* وبالإسناد عن أحمد قال: ثنا سيار، ثنا جعفر، ثنا المُعلى بن زياد، عن الحسن، أنه قال:

ليس يومٌ يأتي من أيَّام الدنيا إلاَّ يتكلم ويقول: يا أيها الناس إني يومٌ جديدٌ، وأنا على ما يُعْمَلُ فيَّ شهيدٌ، وإنّي لو قد أفَلَتْ شمسي لم أرْجِعْ إليكم إلى يوم القيامة[(١)].

* وقال أبو بكر بن عياش: أحدهم لو سقط منه درهم لظلَّ يومَهُ يقول: إنا لله!! ذهب درهمي، وهو يذهب يومه؛ ولا يقول: ذهب يومي ما عملت فيه[(٢)].

* وكان عون بن عبد الله يقول: ما أنزل الموتَ كُنْهَ منزلتِه من عَدَّ غداً من أجلِه، وكم مستقبلٍ يوماً لا يستكمِلُهُ، وكم مُؤَمِّل لغد لا يدركُهُ، لو رأيتم الأجلَ ومسيرَهُ، لأبغضتمُ الأملَ وغروره[(٣)].

* وقالت رابعة لسفيان: إنما أنتَ أيامٌ معدودة، فإذا ذهبَ يومُك ذهبَ بعضُك، ويوشك إذا ذهب البعضُ أن يذهب الكلُّ، وأنت متى تعلم فاعمل[(٤)].

❑ ❑ ❑

---

(١) ذكره المصنف في «الحدائق» (٣/ ٢٢٤).

(٢) «الحلية» لأبي نعيم (٨/ ٣٠٣).

(٣) «صفة الصفوة» للمؤلف (٣/ ١٠٣).

(٤) «الحدائق» للمصنف (٣/ ٢٢٥).

الباب الثاني

فِي ذِكْرِ من كانَ يُبادِرُ العُمْرِ
ويُبالِغُ فـي حِفْظِ لَحظَاتِـهِ

* أخبرنا محمد بن ناصر، أنا جعفر بن أحمد، أنا أبو علي الحسن بن علي، أنا أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبـي، ثنا علي بن إسحاق، ثنا عبد الله، أنا عمر بن محمد بن زيدٍ أنَّ أباه أخبره:

أن عبد الله بن عمر كان له مهراس فيه ماء، فيصلي ما قُدِّرَ له، ثُمَّ يصير إلى الفراش فيغْفي إغفاء الطَّيْرِ ثُمَّ يقوم فيتوضأ، ثُمَّ يصلي، ثُمَّ يرجِـعُ إلى فراشِهِ، فيغفي إغفاء الطير، ثُمَّ يثب فيتوضأ، ثُمَّ يصلي، يفعل ذلك في الليل أربع مرات أو خَمْس مرات[1].

* قال أحمد: وثنا أبو المغيرة، حدثني أبو بكر بن أبـي مريم، حدثني عطية بن قيس:

(١) «الحدائق» للمصنف (٣/ ٢٢٩).

أن أُناساً من أهل دمشق أتوا أبا مسلم الخولاني في منزله ـ وكان غازياً بأرض الروم ـ ، فوجدوه قد احتفر في فسطاطه حفرة، ووضع في الحفرة نطعاً، وأفرغ فيه الماء، فهو يظلّ فيه وهو صائم، فقال له النفر: ما يحملك على الصيام وأنت مسافر وقد رخص الله تعالى لك في الفطر في السفر والغزو؟

فقال: لو حضر قتال لأفطرت وتقوّيت للقتال؛ إن الخيل لا تجري الغايات وهي بُدَّنٌ، إنما تجري وهي ضُمَّرٌ، إنَّ بَيْنَ أيدينا أياماً لها نعمل[1].

* قال أحمد: وثنا الحكم بن نافع، ثنا إسماعيل بن عيَّاش، عن شرحبيل بن مسلم:

أن رجلين أتيا أبا مسلم الخولاني في منزله، فقال بعض أهله: هو في المسجد، فأتَيَا المسجد فوجداه يركع، فانتظرا انصرافه، وأحصيا ركوعه، فأحصى أحدهما أنه ركع ثلثمائة، والآخر أربعمائة[2].

* قال أحمد: وثنا خلف بن الوليد، ثنا عباد بن عباد، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، قال:

---

(١) «الزهد» لأحمد (٢/ ٢٩٤، ٢٩٥ ـ ط دار النهضة)، و«الحلية» لأبي نعيم (٢/ ١٢٧).

(٢) «الزهد» لأحمد (٢/ ٢٩٤)، و«الحلية» (٢/ ١٢٧).

كان عامر بن عبد قيس إذا صلَّى الصبح تَنَحَّى في ناحية المسجد فقال: مَن أُقْرِئُهُ؟ فيأتيه قوم، فيقرئهم، حتى إذا طلعت الشمس، وأمكنت الصلاة قام يصلي إلى أن ينتصف النهار، ثُمَّ يرجع إلى منزله فيقيل، ثُمَّ يرجع إلى المسجد إذا زالت الشمس، فيصلي حتى يصلي العصر، فإذا صلى العصر تنحى إلى ناحية المسجد ثُمَّ قال: من أُقْرِئُهُ؟ فيأتيه قوم فيقرئهم، حتى إذا غربت الشمس صلى المغرب، ثُمَّ يصلي حتى يصلي العشاء، ثُمَّ يرجع إلى منزله فيتناول أحد رغيفيه فيأكله، ثُمَّ يهجع هجعةً خفيفةً، ثُمَّ يقوم، فإذا أسحر تناول رغيفه الآخر، فيأكله، ثُمَّ يشرب عليه شربة من ماء، ثُمَّ يخرج إلى المسجد.

قال خلف: وحدثني بعض أصحابنا قال: كان منصور بن زاذان يفعل هذا كله، ويفضُله بخصلةٍ: لا يبيت كلَّ ليلة حتى يَبل عمامته ـ يعني بدموعه ـ ثم يضعها[1].

* قال أحمد: وثنا سيار، ثنا جعفر قال: سمعت ثابتاً يقول: ما في المسجد الجامع سارية، إلاَّ وقد ختمتُ القرآن عندها، وبكيت عندها[2].

* قال أحمد: وثنا عبد الرحمن، عن هلال بن حِقّ قال: كان

(١) «الزهد» لأحمد (٢/ ١٧٤).

(٢) «حلية الأولياء» (٢/ ٣٢١).

حُجَيْر بن الرّبيع يصلي حتى ما يأتي فراشه إلاَّ زحفاً، وما يعدُّونه من أعبدهم[1].

* قال عبد الله بن أحمد: وحدثني علي بن مسلم، ثنا جعفر بن محمد بن ثابت البناني قال: ذهبت ألقِّنُ أبي وهو في الموت، فقلت: يا أبتِ قل لا إله إلاَّ الله. فقال: يا بنيّ، خلِّ عني فإني في وردي السادس أو السابع[2].

* قال عبد الله: وحدثني أبو موسى الأنصاري، ثنا الوليد بن مسلم، حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال: قلت لعمير بن هانىء: أرى لسانك لا يفتر من ذكر الله عز وجل فكم تسبّح كلَّ يوم؟ قال: مائة ألف إلاَّ أن تُخطِىء الأصابع[3].

* قال عبد الله: وحدثنا محمد بن الفضيل بن غزوان، عن أبيه، قال: دخلت على كُرْزٍ[4] بيتَهُ، فإذا عنده مُصلاَّه قد ملأها تبناً وبسط عليها كساءً من طول القيام، وكان يقرأ القرآن في اليوم والليلة ثلاث مرات، وله عود في المحراب يعتمد عليه إذا نَعِسَ[5].

---

(١) «الحدائق» للمؤلف (٣/ ٢٣٢).

(٢) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٢/ ٣٢٢).

(٣) «الحلية» (٥/ ١٥٧).

(٤) هو كُرْز بن وَبَرة الحارثي، أحد التابعين العباد النُّساك.

(٥) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٥/ ٧٩)، و «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٨٤، ٨٥).

(فائدة) قال الإمام ابن قدامة المقدسي في «المغني» (٢/ ٦١٢): =

* قـال محمـد بـن فضيل: رأيت ابـن طـارق في الطواف قـد انفـرج لـه أهــل الطـواف، وعليه نعـلان مطرقتان، فحـزروا طـوافه

= «وإن قـرأه في ثـلاث فحسن، لما روي عـن عـبـد الله بـن عمـرو قـال: قلت لرسول الله ﷺ: إن بـي قوة، قـال: «اقرأه في ثلاث». رواه أبو داود.
فـإن قرأه في أقل من ثلاث، فقد روي عن أبـي عبد الله ـ يعني الإمام أحمد رحمه الله ـ أنه قال: أكره أن يقرأهُ في أقلَّ من ثـلاث، وذلك لما روي عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يفقَهُ مـنْ قـرَأَهُ فـي أقـلَّ من ثلاثٍ» رواه أبو داود، ورُوِيَ عن أحمد أن ذلك غير مُقَدَّرٍ، وهـو على حسب ما يجدُ من النشاطِ والقُوَّةِ لأن عثمان كان يختمه في ليلةٍ، وروي ذلك عن جماعةٍ من السَّلَفِ».
وقال الإمام النووي بعد أن ذكر من كان يختم في أقل من ثلاث في كتابه «الأذكار» (ص ١٨٨، ١٨٩):
«والمختار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له فهم ما يقرأ، وكذا من كان مشغولاً بنشر العلم أو فصل الحكومات بين المسلمين أو غير ذلك من مهمات الدين والمصالح العامَّة للمسلمين، فليقتصر على قدر لا يحصل له بسببه إخلال بما هو مرصد له ولا فوت كماله ومن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثرْ ما أمكنه من غير خروج إلى حدّ الملل أو الهذرمة في القراءة».
وقال الإمام الباجي المالكي: «أمر النبـي ﷺ عبد الله بن عمرو أن يختم في سبع أو ثلاث يحتمل أنه الأفضل في الجملة، أو أنه الأفضل في حقِّ ابن عمرو لما علم من ترتيله، وعلم من ضعفه عن استدامته أكثر مما حدّ له، وأما من استطاع أكثر من ذلك فلا تمنع الزيادة عليه، وسئل مالك عن الرجل يختم القرآن في كل ليلة، فقال: ما أحسن ذلك، إن القرآن إمام كل خير». نقله الزركشي في «البرهان في علوم القرآن» (١/ ٤٧١).

في ذلك الزمان، فإذا هو يطوف في اليوم والليلة عشرة فراسخ[1].

* قال عبد الله: وحدثني أبـي، ثنا محمد بن فضيل، ثنا أبـي قال:

كانت معاذة العَدَوية إذا جاء النهار قالت: هذا يومي الذي أموت فيه، فما تنام حتى تمسي، فإذا جاء الليل قالت: هذه ليلتي التي أموت فيها، فلا تنام حتى تصبح. وإذا جاء البرد لبست الثياب الرِّقاق حتى يمنعها البرد من النوم[2].

* **أخبرنـا** إسماعيل بـن أحمد، ثنا رزق الله، أنـا أبو علـي بن شاذان، أنا أبو جعفر بن بُرَيه، ثنا أبو بكر بن عبيد، ثنا أبو خيثمة، ثنا محمد بن يزيد، عن عبد العزيز بن أبـي رَوَّاد، قال:

أخبرني نافـع أنَّ ابن عمـر خرج في بعـض نواحـي المدينـة هو وأصحاب لـه، فوضعوا سُفرة لهم، فمـر بهم راعٍ، فقال لـه عبد الله: هَلُـمَّ! قـال: إنـي صـائـم، فقـال: أفـي مثـل هـذا اليـوم الصـائـف الحـار وأنـتَ فـي هـذا الشعـب؟! قـال: إنـي والله أبـادر الأيـام الخـاليـة[3].

---

(١) «الحلية» (٥/ ٨٢).

(٢) أخرجـه ابن أبـي الدنيا في «التهجـد وقيـام الليـل» (٧٨)، وهو في: «الحدائـق» للمصنف (٣/ ٢٣٣).

(٣) أخرجه ابن أبـي الدنيا في «قصر الأمل» (١٨٧).

* وقد روينا عن رَوْح بن زِنباع أنه نزل منزلاً فقرَّب غداءه، فإذا راعٍ، فقال له: هلمَّ، قال: إني صائم، قال: في هذا اليوم الحار؟ قال: أفأدع أيامي تذهب باطلاً؟ فقال[1]:

لقد ضَنِنْتَ بأيامك يا راعي إذْ جادَ بها رَوْح بن زنباع

* أخبرنا عبد الوهاب الأنماطي ويحيى بن يحيى قالا: أنا عبد الله بن محمد الصَّرِيفيني، أنا محمد بن الحسن بن عبدان، ثنا الحسين بن إسماعيل[2]، ثنا محمد بن يحيى الأزدي، ثنا خلف بن تميم، عن زائدة بن قدامة قال:

صام منصور بن المعتمر أربعين سنة، قام ليلها وصام نهارها، وكان في الليل يبكي، فتقول له أمه: قتلت قتيلاً؟ فيقول: أنا أعلم بما صنعت بنفسي، وإذا أصبح كحل عينيه ودهن رأسه، وبَرَّق شفتيه وخرج إلى الناس[3].

---

(١) رَوْح بن زِنباع الأمير الشريف، كان سيد قومه ولوالده صحبة، توفي سنة (٨٤هـ)، والخبر رواه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (١٨٨)وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ١٥٣/ أ).

(٢) في الأصل: «علي» وهو خطأ والتصويب من «الحدائق» للمصنف، و «تهذيب الكمال» للمزي.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (١٢٣)، وفي «محاسبة النفس» (٩٠)، والمصنف في «الحدائق» (٢/ ٢٣٤) من نفس الطريق، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٤١) من طريق آخر.

* **أخبرنا** عبد الله بن أبي القاسم، أنا أبو عبد الله محمد بن علي بن عمير، أنا أبو الفضل محمد بن محمد الفامي، أنا محمد بن أحمد الرواني، حدثني شكر، ثنا إبراهيم بن الجنيد، حدثني محمد بن يحيى، عن جعفر بن أبي جعفر الرازي، عن محمد بن قدامة، قال:

سمعت أبا بشر يقول: كانت جارة لمنصور بن المعتمر وكان لها ابنتان لا تصعدان إلى السطح إلاَّ بعد أن ينام الناس، فقالت إحداهما ذات ليلة: يا أماه ما فعلت القائمة التي كانت أُراها في سطح فلان؟ فقالت: يا بنية لم تكن تلك قائمة، إنما كان منصور يُحيي الليل كله في ركعة لا يركع ولا يسجد.

* **أخبرنا** المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقي قالا: أنا أحمد بن أحمد، أنا أبو نعيم الحافظ، ثنا أبو أحمد الغطريفي، ثنا محمد بن الحسن الطبري، ثنا أحمد بن محمد بن مسروق: سمعت الحماني يقول: لما حضرت أبا بكر بن عياش الوفاة بكت أخته فقال: لا تبكي ــ وأشار إلى زاوية في البيت ــ، فقد ختم أخوكِ في تلك الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة[1].

* قال سعيد بن المسيب: ما فاتتني الصلاة في الجماعة

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٠٤)، ومن طريقه المصنف في «الحدائق» (٣/ ٢٣٤).

منذ أربعين سنة[1].

* وحج مسروق فما نام إلاَّ ساجداً[2].

* وقال رجل لعامر بن عبد قيس: قف أكلمك، فقال: فأمسك الشمس[3].

* وأطال قوم الجلوس عند معروف الكرخي، فقال: أما تريدون أن تقوموا؟! إن مَلَك الشمس لا يَفْتَرُ عن سَوْقها[4].

* ودخلوا على أبي بكر النَّهْشَلي وهو في الموت، وهو يومىء، فقيل له على هذه الحال، قال: أُبادِرُ طيَّ الصَّحيفة[5].

* **أخبرنا** عمر بن ظفر، أنا جعفر بن أحمد، أنا عبد العزيز الأَزْجي، ثنا ابن جهضم، ثنا محمد بن عبد الله الفرائضي، ثنا أحمد بن محمد بن زياد، قال:

---

(١) «الحلية» لأبي نعيم (٢/ ١٦٢).

(٢) أخرجه أحمد في «الزهد» (٢/ ٢٨٥)، وابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (٦٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٩٥).

(٣) ذكره المصنف في «صيد الخاطر» (ص ٤٠٦).

(٤) «صيد الخاطر» للمصنف (ص ٤٠٦).

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (١٥٩)، والخطيب في «اقتضاء العلم» (١٧٩). وذكره المصنف في «الحدائق» (٣/ ٢٣٥)، والذهبي في «السير» (٧/ ٣٣٣).

سمعت أبا بكر العَطّار يقول حضرتُ الجنيد عند الموت، وكان يُصلي قاعداً، ويثني رجله إذا أراد أن يركع ويسجد، فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رِجليه فثقل عليه حركتهما، وكانت رِجْلاه قد تورّمتا فقال له قائل: ما هذا؟ قال: هذه نِعَمٌ، اللَّـهُ أكبر[1].

فلما فرغ من صلاته قال له الجُريري: لو اضطجعت فقال: يا أبا محمد هذا وقت نُؤخذ منه، الله أكبر.

فلم يزل على هذه الحالة حتى خرجت روحه[2].

* وقالت داية داود الطائي: أما تشتهي الخبز؟ فقال: بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية[3].

* أخبرنا عبد الرحمن، أنا أحمد بن علي، أنا أبو الحسن محمد بن الحسين بن حمدون، أنا عبد الله بن أحمد المقرىء، ثنا محمد بن مخلد، قال: سمعت محمد بن العباس يقول:

سمعت عاصم بن علي يقول: كان يزيد بن هارون إذا صلى العَتَمَة، لا يزالُ قائماً حتى يُصلِّي الغداةَ بذلك الوضوءِ نيفاً وأربعين سنة[4].

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٧/ ٣٣٣).
(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٨١).
(٣) «الحلية» لأبي نعيم (٧/ ٣٥٠).
(٤) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٤/ ٣٤١).

* قال أحمد بن عبد الله أبو نعيم، ثنا أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبـي، ثنا عبد الرحمن، عن شعبة، عن أبـي إسحاق، قال:

حَجَّ الأَسود ثمانين من بين حجة وعمرة[١].

* قال أحمد: وثنا حجاج، أنا محمد بن طلحة، عن عبد الرحمن بن ثروان قال:

كان الأسود بن يزيد يجهد نفسه في الصوم والعبادة حتى يخضر جسده ويصفرّ، وكان علقمة يقول له: لم تعذّب هذا الجسد؟! فيقول: إن الأمر جِدٌّ، إن الأمر جِدٌّ[٢].

* قال أبو نعيم: وثنا أبو حامد بن جبلة، ثنا محمد بن إسحاق، ثنا سعدان بن يزيد، حدثنا الهيثم بن جميل، ثنا سفيان بن عُيينة، عن عطاء بن السائب، قال: كان مُرة يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة، فلما ثَقُل وبَدُن صلى أربعمائة ركعة، وكنت أنظر إلى مَبَارِكِهِ كأنها مَبَارِكِ الإبل[٣].

---

(١) «الحلية» لأبـي نعيم (٢/١٠٣).

(٢) أخرجه أحمد في «الزهد» (٢/٢٠٥)، وابن أبـي الدنيا في «محاسبة النفس» (١٠١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/١٠٣، ١٠٤).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٤/١٦٢)، ومرة المروي عنه الخبر هو مرة بن شراحيل، أحد العباد الصالحين، كان يسمى مرة الطيب، وذلك لطيب عبادته =

* قال أبو نعيم: وثنا أبو بكر محمد بن أحمد، ثنا الحسن بن محمد، ثنا عبيد الله بن عبد الكريم، ثنا سعيد بن أسد بن موسى، ثنا ضَمْرَة بن ربيعة، عن أصبغ بن زيد، قال:

كان أُويس القرني إذا أمسى يقول: هذه ليلةُ الركوع، فيركع حتى يصبح، وكان يقول إذا أمسى: هذه ليلة السجود؛ فيسجد حتى يصبح[1].

* أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، أنا أبو الحسين بن عبد الجبار، أنا محمد بن علي بن الفتح، أنا محمد بن عبد الله الدَّقاق، أنا ابن صفوان، ثنا أبو بكر بن عبيد، ثنا أحمد بن عمران، ثنا حفص بن غياث، ثنا محمد بن إسحاق قال: قدم علينا عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد حاجًّا فاعتلّت إحدى قدميه، فقام يصلي حتى أصبح على قدم، وصلى الفجر بوضوء العشاء، وقدم ليث بن أبي سليم فصنع مثلها[2].

= وتألهه، ويقال له أيضاً: مرة الخَيْر؛ لعبادته وخَيْره وَعِلْمِهِ، وحديثه في الكتب الستة، توفي سنة (٧٦هـ)، وقيل غير ذلك، قال الحافظ الذهبي: ما كان هذا الولي يكاد يتفرغ لِنَشْرِ العلم، ولهذا لم تكْثُرْ روايته، وهل يُراد من العلم إلاَّ ثَمَرتُه. «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٧٤، ٧٥).

(١) «الحلية» لأبي نعيم (٢/ ٨٧).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (١٠٣)، والخبر في «سير أعلام النبلاء» (٥/ ١٢)، و «تهذيب الكمال» للمزي (١٦/ ٥٣٢).

* **أخبرنا** عبد الوهاب، أنا أبو الحسين بن عبد الجبار، ثنا أبو بكر الخياط، ثنا أحمد بن محمد بن يوسف، ثنا ابن صفوان، ثنا أبو بكر بن عبيد، حدثني محمد بن منصور، أنا إسماعيل بن عمر، ثنا سعيد بن ميمون قال: قيل لامرأة عامر بن عبد قيس ـ يعني خادمته ـ: كيف كانت عبادة عامر؟ قالت: ما صنعت له طعاماً بالنهار فأكله إلاَّ بالليل، ولا فرشت له فراشاً فاضطجع عليه إلاَّ بالنهار[1].

* **أخبرنا** إسماعيل بن أحمد، أنا رزق الله بن عبد الوهاب، أنا أبو علي بن شاذان، أنا أبو جعفر بن بُرَيه، ثنا أبو بكر بن عبيد، حدثني محمد بن الحسين، ثنا يحيى بن راشد، ثنا أبو عاصم، حدثني بزيع الهلالي، عن سحيم مولى بني تميم قال:

جلست إلى عامر بن عبد الله وهو يصلي، فتجوَّز في صلاته، ثُمَّ أقبل عليَّ فقال: أرحني بحاجتك فإني أبادر.

قلت: وما تبادر؟ قال: ملك الموت رحمك الله! فقمت عنه وقام إلى الصلاة[2].

* **وأخبرنا** ابن ناصر، أنا جعفر بن أحمد، أنا أبو علي

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (٥٣)، وهو المقصود في سند ابن الجوزي «أبو بكر بن عبيد».

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (١٣٦).

التميمي، أنا أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبـي، ثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن جعفر بن يزيد الرِّشْك، عن معاذة قالت: كان أبو الصهباء يصلي حتى ما يستطيع أن يأتي فراشه إلاَّ زحفاً[1].

* قال أحمد: وثنا حسن بن موسى، ثنا أبو هلال، عن بكر بن عبد الله قال:

من سَرَّه أن ينظر إلى أعْبَدِ رجل أدركناه فلينظر إلى ثابت البناني، فما أدركنا الذي هو أعبد منه؛ تراه في يوم مَعْمعاني بعيد ما بين الطريقين يظل صائماً ويراوح ما بين جبهته وقدميه.

* أخبرنا عبد الوهاب أنا المبارك بن عبد الجبار، أنا محمد بن علي بن الفتح، ثنا محمد بن عبد الله الدقاق، ثنا ابن صفوان، ثنا أبو بكر القرشي، حدثني سلمة بن شبيب، ثنا سهل بن عاصم، عن عمر بن سفيان، ثنا سهل بن أسلم، قال:

كان ثابت البناني يصلي في كل ليلة ثلاثمائة ركعة فإذا أصبح ضمرت قدماه فيأخذهما بيده فيعصرهما ثم يقول: مضى العابدون وانقطع بـي والهَفَاه.

---

(١) أبو الصهباء هو صِلَة بن أَشْيَم، أحد الزُّهاد العباد، وهو زوج مُعاذة العدوية العالمة العابدة، توفي سنة نحو (٦٢هـ)، والخبر أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٧/ ٤٩٧).

* أخبرنا سعد الخير بن محمد، أنا نصر بن أحمد، أنا عمر بن أحمد بن عثمان، أنا محمد بن يحيى الطائي، ثنا علي بن حرب، ثنا أبو داود الحَفَري، عن محمد بن السماك، عن أشعث بن سوار، قال:

دخلت على يزيد الرَّقاشي فجعل يقول: سبقني العابدون، وقُطِع بي، والهَفَاه. وقال: صام أربعين سنة.

* أخبرنا ابن ناصر قال: ثنا حمد بن أحمد، أنا أبو نعيم الحافظ، ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، ثنا محمد بن الحسن بن علي بن بحر، ثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: سمعت معتمر بن سليمان يقول:

مكث أبي أربعين سنة يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويصلي الصبح بوضوء العشاء[1].

* أخبرنا محمد بن عبد الباقي: أنا حمد بن أحمد، أنا أحمد بن عبد الله، ثنا عبد الله بن أحمد بن جعفر، ثنا أحمد بن روح، ثنا أحمد بن غالب، ثنا محمد بن عبد الله الخزاعي، قال:

صلى عبد الواحد بن زيد الغداة بوضوء العتمة أربعين سنة[2].

---

(١) «الحلية» لأبي نعيم (٣/ ٢٨).

(٢) «الحلية» (٦/ ١٦٣).

* قال عبد الله بن أحمد بن جعفر: وثنا أحمد بن الحسين بن نصر، ثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدثني الهيثم بن معاوية عن شيخ من أصحابه قال:

كان كهمس يصلي ألف ركعة في اليوم والليلة، فإذا مَلَّ قال لنفسه: قُومِي يا مأوى كلّ سوءٍ، فواللّٰهِ ما رضيتُكِ للّٰهِ ساعةً قطُّ[1].

* أخبرنا عبد الوهاب الحافظ، أنا أبو الحسين بن عبد الجبار، أنا محمد بن علي بن الفتح، ثنا محمد بن عبد الله الدَّقاق، أنا الحسين بن صفوان، ثنا عبد الله بن محمد، ثنا هارون بن عبد الله، ثنا إبراهيم بن عبد الرحمن قال:

قال بشار: رأيت ضيغماً صلى نهاره وليلَه حتى بقي راكعاً لا يقدِر أن يسجد، فرأيته رفع رأسه إلى السماء ثُمَّ قال: قرة عيني ثُمَّ خرَّ ساجداً، فسمعته يقول وهو ساجد: إلٰهي كيف عزفتْ قلوبُ الخليقة عنك؟ فربما أصابته الفترة[2]، فإذا وجد ذلك اغتسل ثم دخل بيتاً فأغلق بابه، وقال: إلٰهي إليك جئت، فيعود إلى ما كان عليه من الركوع والسجود، وكان ورده كل يوم أربعمائة ركعة[3].

---

(١) «الحلية» (٦/ ٢١١).

(٢) الفترة: الضعف والفتور.

(٣) ذكره المصنف في كتابه الآخر «صفة الصفوة» (٣/ ٣٥٧) ومنه قوّمت بعض الألفاظ في الأصل ليتم السياق.

* أخبرنـا إسماعيل بـن أحمد، ثنـا محمد بن هِبة الله الطَّبري، أنـا علي بـن بشران، ثنـا ابن صفوان، ثنـا أبو بكر بـن عبيد، حدثني محمـد بن الحسين، حـدثني عنبس بـن مرحوم، حـدثتني عبـدة بنت أبـي شوال وكانت تخدم رابعة قالت:

كانت رابعة تصلي الليل كله، وإذا طلع الفجر هجعت في مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر، فكنت أسمعها تقول إذا وثبت: يا نفس كم تنامين؟ وإلى كم لا تقومين؟ يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلاَّ لصرخة يوم النشور[١].

* أخبرنا ابن ناصر وابن أبـي عمر قالا: أخبرنا رزق الله وطراد قالا: أخبرنا ابن بشران، ثنا ابن صفوان، ثنا أبو بكر بن عبيد، أخبرني محمد بن الحسين، حدثني أحمد بن أحمد بن سهل الأردني، قـال:

دخل على رحلة العابدة نفَر من القُرّاء يكلمونها في الرِّفق بنفسها، فقالت: ما لي وللرفق بها، إنما هي أيام المبادرة، فمن فاته اليوم شيء لم يدركه غداً، والله يا إخوتاه لأُصَلِّيَنَّ لله ما أقلّتْني جوارحي، ولأصومنَّ له أيام حياتي، ولأبكينَّ له ما حَملت الماء عيني، ثم قالت: أيّكم يأمر عبده بأمرٍ فيحبّ أن يُقصّر فيه[٢]؟

(١) أخرجه ابن أبـي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (١٠٧).

(٢) أخرجه ابن أبـي الدنيا في «محاسبة النفس» (١٣٥).

* أخبرنا عمر بن ظفر، أنا جعفر بن أحمد، ثنا عبد العزيز الأَزْجي، ثنا ابن جهضم، ثنا علي بن محمد بن حاتم، حدثني جنيد، قال:

سمعت سريّاً يقول: إذا فاتني شيء من وردي لم أقدر أن أُعِيدَهُ. قال جنيد: كان سرِيٌّ متصلَ الشغل[1].

* أخبرنا أحمد بن علي بن المجلي، أنا أخي هبة الله بن علي، أخبرني محمد بن محمد بن عبد العزيز العباسي، حدثني أبي، قال:

قضيت يوماً في صحبة خالي إلى عثمان بن عيسى الباقلاني فتلقيناه خارجاً من المسجد إلى داره، وهو يُسبِّح، فقال له خالي: ادع لي، فقال: يا أبا عبد الله شغلْتَني، انظر ما تظنُّه فيّ فافعله، وادع الله لي. فقلت له: أنا بالله ادع لي. فقال لي: رَفَقَ اللَّهُ بك. فاستزدته، فقال: الزمان يذهب والصحائف تختم.

وكان عثمان دائم الذكر، وكان يقول: إذا كان وقت غروب الشمس أحسست بروحي كأنها تخرج؛ لاشتغاله في تلك الساعة بالإفطار عن الذكر[2].

---

(١) السري هو ابن المغلِّس السَّقطِيّ توفي سنة (٢٥٣هـ)، والجنيد: هو ابن محمد النهاوندي توفي سنة (٢٩٨هـ)، والخبر ذكره المصنف في «صفة الصفوة» (٢/ ٣٨١، ٣٨٢).

(٢) الخبر: ذكره المصنف في «صفة الصفوة» (٢/ ٤٨٣) والخبر الثاني الذي بعده عنه: ذكره الخطيب البغدادي في «تاريخه» (١١/ ٣١٣).

* أخبرنا ابن ناصر وابن أبـي عمر قالا: أنا رزق الله وطراد قالا: أنا ابن بشران، ثنا ابن صفوان، ثنا أبو بكر القرشي، حدثني أبو عبد الله التميمي، عن أبيه قال:

رأيت حماد بن سلمة في النوم فقلت: ما فعل بك ربك؟ فقال: قيل لي: طال ما كدرت نفسك فاليوم أطيل راحتك وراحة المتعوبين في الدنيا، بخ بخ، ماذا أعددت لهم[1].

* أخبرنا المبارك بن خيرون، أنا عمي أبو الفضل أحمد بن الحسن، أنا أبو طالب عمر بن إبراهيم الزهري، أنا محمد بن خلف، ثنا عبد الله بن محمد النَّيسابوري، قال:


سمعت الربيع بن سليمان يقول: كان للشافعي في كل شهر ثلاثون ختمة، وفي كل شهر رمضان ستون ختمة[2].

❑ ❑ ❑

---

(١) أخرجه ابن أبـي الدنيا في «محاسبة النفس» (١٣٢)، وانظر: «صفة الصفوة» للمصنف (٣/ ٣٦٣).

(٢) أخرجه البيهقي في «مناقب الشافعي» (٢/ ١٥٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٣٤).



الباب الثالث
في ذِكرِ سَبَبِ تَضْييعِ العُمْرِ

من علم أن العمر بضاعة يسيرة يسافر بها إلى البقاء الدائم في الجنة لم يُضَيّعه، فأمّا من قلَّ علمه وضعف إيمانه بالجزاء، وخسَّت همته، فإنه يؤثر الراحة بالبطالة، ويقنعه ما يرجو النجاة به من التوحيد ولا ينظر في فوت الدرجات، فهو كما قيل:

دَعِ المكارِمَ لا ترحل لِبُغْيتها ... واقعد فإنكَ أنتَ الطَّاعِمُ الكاسِي

* ومن الأسباب: طول الأمل:

فالإنسان يعِد نفسَه بأن سيعمل.

* وقد روّينا عن علي بن أبي طالب أنه قال: طول الأمل ينسي الآخرة[1].

---

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» (٢/ ٤٧، ٤٨)، وابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (٤٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٧٦).

* وقال ابن عمر: إذ أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح(١).

* وقال الحسن: ما أطال عبدٌ الأمل إلاَّ أساء العمل.

* **أخبرنا** إسماعيل بن أحمد، أنا رزق الله، أنا أبو علي بن شاذان، أنا أبو جعفر بن بُرَيه، أنا أبو بكر بن عبيد، أنا أحمد بن إبراهيم، ثنا السَّري بن يوسف، عن محمد بن أبي توبة، قال:

أقام معروف الكرخي الصلاة، ثُمَّ قال لي: تقدم(٢).

فقلت: إنْ صلَّيْت بكم هذه الصلاة لم أصلّ بكم غيرها.

فقال معروف: وأنت تُحدِّث نفسك أنْ تصلي صلاة أخرى؟ نعوذ بالله من طول الأمل؛ فإنه يمنع خير العمل(٣).

* وقد روينا: **أن أكبر جنود إبليس: سوف**(٤).

* وكان بعض العلماء يقول: احذروا: سوف(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٦).

(٢) قال ابن الجوزي في كتابه الآخر «مناقب معروف الكرخي وأخباره» (ص ١٠١): «وذلك أن معروفاً كان لا يؤم، إنما يؤذن ويقيم ويقدم غيره».

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (١٠٣)، والمصنف في «مناقب معروف» (ص ١٠١، ١٠٢)، بنفس السند من طريق ابن أبي الدنيا كما هو هنا.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (٢٠٧)، والخطيب في «اقتضاء العلم العمل» (٢٠٠)، عن أبي الجلد البصري.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (٢٠٦) عن أبي إسحاق السبيعي.

ودخل بعض العلماء مقبرة، فقال: لَا إلـٰهَ إلَّا الله، ما فيهم أحد إلَّا وله حوائج ما قضاها، يقول: سأفعل[1].

* **ومن الأسباب: تعجيل الراحة:**

ولو كان الذهن قوياً لعلم أن الراحة البطالة تذهب، وفعالها خسران المناقب، وأنت ترى الغافلين في ساعات البطالة عن أشغال الدنيا، منهم من يسعى في لهو يؤذي دينه ويلعب بالشطرنج، ومنهم من يتحدث حديثاً لا يخلو من إثم.

وينبغي للإنسان أن يعلم أن أعزّ الأشياء شيئان: قلبه ووقته، فإذا أهمل وقته وضيّع قلبه ذهبت منه الفوائد.

* وكان عمرو بن قيس إذا نظر إلى أهل السوق قال: ما أغفل هؤلاء عما قد أُعِد لهم.

* أخبرنا ابن ناصر قال: أنا جعفر بن أحمد، ثنا أبو علي التميمي، أنا أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد، حدثني هارون بن عبد الله، ثنا بشار، ثنا جعفر، ثنا ثابت البناني، قال:

كان صلة بن أَشْيَم يخرج إلى الجبّانة فيتعبّد فيها، وكان يمرّ عليه شباب يلهون ويلعبون فيقول: أخبروني عن قوم أرادوا سفراً فحادوا النهار عن الطريق وناموا بالليل متى يقطعون سفرهم؟!

---

(١) وفي هذا يقول القائل:

ولـم يَتَّفِـقَ حتـى مَضَـى لِسَبيلِـهِ ... وكـم حَسَـراتٍ فـي بُطـونِ المَقَـابِـرِ!

قال: وكان كذلك يمرّ بهم فيعِظهم، فمرّ بهم ذات يوم وقال لهم هذه المقالة، فقال شاب منهم: يا قوم، إنه والله ما يعني بهذا غيرنا؛ نحن بالنهار نلهو، وبالليل ننام. ثُمَّ تبع صلة، فلم يزل يختلف معه إلى الجبّانة ويتعبد معه حتى مات[1].

* قال عبد الله: حدثني أبـي قال: ثنا هارون بن معروف، ثنا ضمرة عن ابن شوذب قال:

سمعت فرقداً يقول: إنكم لبستم ثياب الفراغ قبل العمل، ألم تروا أن الفاعل إذا عمل كيف يلبس أدنى ثيابه، فإذا فرغ اغتسل ولبس ثوبين نقيين، ثُمَّ يلبس ثياب الفراغ بعد العمل.

* أخبرنا ابن ناصر وعلي بن عمر قالا: أخبرنا رزق الله وطراد قالا: أنا ابن بشران، ثنا ابن صفوان، ثنا أبو بكر القرشي، حدثني أبو عبد الرحمن الأزدي، حدثني معدان بن سمرة، قال: سمعت أحمد بن الزبرقان، قال:

سمعت عبد الله بن المبارك يقول: إن الصالحين فيما مضى كانت أنفسهم تؤاتيهم على الخير عفواً، وإن أنفسنا لا تكاد تؤاتينا إلاَّ على كُرْهٍ، فينبغي لنا أن نُكرهها[2].

* أخبرنا عبد الله بن محمد، ثنا هارون، ثنا سيار، ثنا جعفر،

---

(١) «صفة الصفوة» للمصنف (٣/٢١٦).

(٢) أخرجه ابن أبـي الدنيا في «محاسبة النفس» (١٤٣).

حدثني مالك بن دينار:

حدثني شيخ أدرك الصدر الأول: أنّ نبي الله ﷺ كان يعظ أصحابه فيقول: «أرأيتم نفساً إن نعّمها صاحبها وَرَفَقَ بها ذمَّته غداً قُدَّام الله، فإن خالفها وأنصبها وأتعبها، مدحته غداً قُدَّام الله عز وجل، فَتِيْكُم أنفسكم التي بين جنبكم»(١).

* قال أبو بكر: وحدثنا علي بن محمد، ثنا عبد الله بن صالح، حدثني يعقوب بن عبد الرحمن القاري، قال:

قال محمد بن المنكدر إني خلفت زياد بن أبي زياد وهو يخاصم نفسَه في المسجد يقول: اجلسي، أين تريدين تذهبين؟ أتخرجين إلى أحسن من هذا المسجد؟ تريدين أن تبصري دار فلان ودار فلان؟ ما لك في الطعام إلاَّ هذا الخبز والزيت، وما لك من الثياب إلاَّ هذان الثوبان، وما لك من النساء إلاَّ هذه العجوز، أفتحبين أن تموتي؟ قالت: أنا أصبر على هذا(٢).

* وأخبرنا ابن الحُصين قال: أنا ابن المُذْهب، أنا أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، ثنا رَوْح، ثنا حماد، عن سُهَيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة:

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (١٤٤)، وإسناده ضعيف، لضعف سيار بن حاتم العنزي، والجهالة التي في الإسناد أيضاً.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (١٤٧).

عن النبي ﷺ قال: «ما جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِساً، فَتَفَرَّقوا على غير ذكر الله، إلا تَفَرَّقوا عن مِثْلِ جِيفَةِ حِمارٍ، وكان ذلك المَجْلِسُ عَلَيْهِم حَسْرَةً يومَ القِيامَةِ»[1].

* أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، أنا أبو حكيم الجيزي، ثنا أبو عبد الله الحسين بن أحمد القادسي، أخبرنا أبو بكر المفيد، ثنا أحمد بن عبد الرحمن السقطي، ثنا يزيد بن هارون، أنا شعبة، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري:

عن النبي ﷺ قال: «لا يجلس قوم مجلساً لا يذكرون الله عزَّ وجلّ ولا يصلّون فيه على النبي ﷺ إلاَّ كان عليهم حَسْرَةً وإن دخلوا الجَنَّة؛ لِما يرون من الثَّوَاب»[2].

* وقد صحّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قال سُبْحانَ الله العظيم وبحمده؛ غُرِست له نَخْلَةٌ في الجنَّة»[3].

* فالعجب لهذا يضيع زمانه في غير الغَرْس، ولو أنه ذاق طعم النخيل لاستكثر من غرس النخل، إن مثل عمل الخير في العمر كمثل

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٥١٥)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٤٥) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٠٩، ٤١٠)، والمصنف في «الحدائق» (٣/ ٣٠٩) وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٦٤، ٣٤٦٥)، وابن حبان (٨٣٢)، والحاكم (١/ ٥٠١) وهو حديث صحيح بشواهده.

رجل قيل له: كلما زرعت حبة أخرجت لك ألف ألف كُرٍّ، فتراه يفتر مع سماع هذا الرِبْح!

وقد قال أبو هريرة: إن الله تعالى يكتب للمؤمن بالحسنة الواحدة ألفي ألف حسنة.

فهذا الذي حث المجتهدين في الغالب، ومنهم من يعمل للحق لا لطلب الأجر[1].

وقد قيل: إن عمر الإنسان يبسط يوم القيامة سنين ثم يبسط شهوراً ثم أسابيع ثم أيام فإذا رآها فارغة من خيرٍ تحسَّر وندم، فكيف إذا كانت مملوءةً بشرٍّ.

وقال الحسن: يُعْرَض على ابن آدم يوم القيامة ساعات عمره، فكل ساعة لم يحدث فيها خيراً تقطعت نفسُه عليها حسرات.

وقد قيل: إن الإنسان يتنفس كل يوم وليلة أربعاً وعشرين ألف نَفَس، اثنا عشر تدخل واثنا عشر تخرج، وكل نفس كخزانة، فانظر ماذا تجعل فيها.

وقد قال الحسن: إن الملائكة تغرس للعبد في الجنة، فربما فتروا فيقال لهم: فيقولون فتر صاحبنا ففترنا، قال الحسن: أمدوهم رحمكم الله بالنفقة.

---

(١) الصواب أن المؤمن يعمل لله ثم لينال الأجر والثواب.

* وليتفكر الإنسان في صائم جلس وقت العشاء ليفطر مع من كان مفطراً وكلاهما يشبع حينئذ، وقد ذهب تعب الصوم وراحة الإفطار وتباين الحال في الثواب.

وكذلك أخوان، طلب أحدهما العلمَ من صغره وآثر الآخر البطالة، فاجتمعا عند علوّ السن فقعدا في مكان، فلاح على هذا أثر التعب وقد حصّل العلم والتقوى، وليس بيد ذاك من آثار الراحة شيء بل إن تفكّر تحسَّر، فأفّ لعاقل يستعجل البطالة وينسى ما يجني.

* **أخبرنا** أبو محمد سليمان بن مسعود، أنا المبارك بن عبد الجبار، أنا أبو طالب محمد بن علي البيضاوي، أنا أبو عمر ابن حيويه، أنا عمر بن سعد القراطيسي وابن صفوان قالا: ثنا أبو بكر القرشي، ثنا علي بن الجعد وسعيد بن سليمان الواسطي، عن إسماعيل بن عيَّاش، عن عمرو بن قَيْس الكندي، عن عبد الله بنُ بسر، قال:

جاء أعرابيان إلى النبي ﷺ فقال أحدهما: يا رسول الله أيّ الناس خير؟ قال: «مَن طالَ عُمُرُه، وحَسُنَ عَمَلُه». وقال الآخر: أيّ الأعمال أفضل؟ قال: «أن لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله تعالى»[1].

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٩٠)، وابن أبي الدنيا في «العمر والشيب» (١)، وإسناده صحيح.

* قال القرشي: وحدثنا أحمد بن عمران الأخنسي، ثنا أبو بكر بن عياش، عن الأعمش، عن سعيد بن عبد الله بن جريج، عن أبي برزة الأسلمي، قال:

قال رسول الله ﷺ: «لا تَزول قَدَما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن علمه كيف عمل فيه، وعن ماله ممَّ اكتسبه وفيما أنفقه»[1].

* قال القرشي: وزعم الحسن بن عرفة قال: حدثني المبارك بن سعيد عن منصور بن المعتمر: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧]، قال: عمرك فيها لأن تعمل فيه لآخرتك.

* قال القرشي: وحدثني أبو عبد الرحمن الأزدي، حدثني محمد بن عبد الله المروزي قال: قال سفيان الثوري: من لعب بعمره ضيّع أيام حَرْثه، ومن ضيّع أيام حرثه ندم أيام حصاده.

وقال بعضهم:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزْرَعْ وَأَبْصَرْتَ حَاصِداً ... نَدِمْتَ عَلَى التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الْبَذْرِ

* قال القرشي: وأنشدني أبو عبد الله الحنظلي:

أَعَيْنَايَ هَلاّ تَبْكِيَانِ عَلَى عُمْرِي ... تَنَاثَرَ عُمْرِي مِنْ يَدَيَّ وَلاَ أَدْرِي

إِذَا كُنْتُ قَدْ جَاوَزْتُ سِتِّينَ حِجَّةً ... وَلَمْ أَتَأَهَّبْ لِلْمَمَاتِ فَمَا عُذْرِي

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٧)، والدارمي (١/ ١٣٥)، والخطيب البغدادي في «اقتضاء العلم» (١)، وقال الترمذي: حسن صحيح وهو كما قال.

* وبعدَ هذا، **فالكلام مع الشباب**: فإن زمان العمل والمجاهدة في ترك الهوى والبطالة.

وقد قال رسول الله ﷺ: «الشباب شعبة من الجنون»[1].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قلّ ما يخطب إلاَّ قال: إن شرخ الشباب والشعر الأسود ما لم يُعاض كان جنوناً.

وقال أبو موسى: جنون الشباب جنون.

وقال سمرة بن جندب: اتقوا سنّ الشباب إنما الشباب جنون.

وقال مالك بن دينار: إنما الخير في الشباب.

وقد روينا: أن الله عز وجل يقول: «أيها الشاب التارك شهوته من أجلي، أنت عندي كبعض ملائكتي»[2].

* واعلم أنّ من طالع سير السلف عاش قلبُه الميت بالهوى، ومن تفكر في العواقب فقد استعمل غاية الدواء، وأقربُ الأشياء إلى السلامة مفارقة من ضل وغوى.

---

(١) أخرجه الخرائطي في «اعتلال القلوب» (ص ١١٧)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٥٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/١٣٨) من حديث زيد بن خالد، وهو حديث ضعيف لجهالة في إسناده.

(٢) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣/١١٩٤) من حديث ابن مسعود، وضعفه الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ٢٣٢).

* أخبرنا يحيى، أنا ابن المبارك بن الحسين الأنصاري، أنا أبو الحسين بن بشران، ثنا ابن صفوان، أنا أبو بكر بن عبيد، حدثني محمد بن إسحاق قال:

قال بعض الحكماء: كيف يفرَحُ بالدنيا من يومُهُ يهدِمُ شهرَه، وشهرُهُ يهدم سنتَه، وسنتُه تهدِمُ عمره، كيف يفرح بالدنيا من يقودُه عمرُهُ إلى أجله، وتقوده حياته إلى موته[١].

* أخبرنا محمد بن عبد الله البيضاوي، أنا المبارك بن عبد الجبار، أنا أحمد بن علي النوري، أنا أبو الحسين بن أخي ميمي، أنا الحسين بن جزء بن صفوان، أنا أبو بكر القرشي، حدثني محمد بن الحسين، حدثني أبو عقيل زيد بن عقيل، ثنا محمد بن ثابت العبدي، عن محمد بن واسع قال: قال خليد العَصري: كلّنا قد أيقن بالموت، وما نرى له مستعداً، وكلنا قد أيقن بالجنة وما نرى لها عاملاً، وكلنا قد أيقن بالنار وما نرى لها خائفاً، فعلام تفرحون؟ وما عسيتم تنتظرون؟ الموت فهو أول وارد عليكم من الله بخير أو بشرٍّ، فيا إخوتاه سيروا إلى ربّكم سيراً جميلاً[٢].

وكان الحسن يقول: التنور تسجر، والسكّين تُحَدّ، والكبش يعلف.

وقال: عجباً لقوم أُمِروا بالزاد، ونودي فيهم بالرحيل، وحُبِسَ أولهم على آخرهم وهم قعود يلعبون.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (٢٦٧).

(٢) ذكره المصنف في «صفة الصفوة» (٣/ ٢٣١).

* أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي، أنا أبو محمد بن أبي عثمان، أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن الصلت، أنا أبو الحسين بن المنادي، ثنا عبد الله بن الصفر، ثنا الصلت بن مسعود الجحدري، ثنا جعفر، ثنا سليمان الضبع، قال:

سمعت أبا عمران الجوني يقول: لا يغرنكم من الله ربكم عز وجل طول النسيئة، فإنّ أخْذه أليم شديد، حتى متى تبقى وجوه أولياء الله تحت أطباق الثرى؟ وإنما هم محبوسون ببقية آجالكم، حتى يبعثهم الله عز وجل إلى جنّته وثوابه.

* أخبرنا محمد بن ناصر وعلي بن أبي عمر قالا: أنا رزق الله وطراد قالا: أنا علي بن محمد بن بشران، أنا ابن صفوان، ثنا أبو بكر بن عبيد، حدثني محمد بن عبد المجيد، عن سفيان بن عيينة، قال: كان رجل من السلف يلقى الأخ من إخوانه فيقول: يا هذا إن استطعت أن لا تسيءَ إلى من تحبّ فافعل، فقال له رجل: وهل يسيءُ الإنسان إلى من يحبّ؟ قال: نعم، نفسك أعزّ الأنفس عليك، فإن عصيت الله فقد أسأت إليها[1].

* قال أبو بكر بن عبيد: حدثني محمد بن سهل الأزدي، عن الهيثم بن عبيد، قال: سمعت خويل بن محمد بن محمد وكان عابداً يقول:

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (٩٦).

كأنَّ خُوَيْلاً قد وقف للحسَاب فقيل له: يا خُوَيْل بن محمد قد عمَّرناك ستين سنة، فما صنعتَ فيها؟ فجُمع نوم ستين سنة مع قائلة النهار، وإذا قطعة من عمري نوم، وجمعت ساعات أكلي، فإذا قطعة من عمري قد ذهبت في الأكل، ثُمَّ جمعت ساعات وضوئي، فإذا قطعة من عمري قد ذهبت فيها، ثُمَّ نظرت في صلاتي، فإذا صلاة منقوصة وصوم منخرق، فما هو إلاَّ عفو الله أو الهلكة(١).

* قال أبو بكر بن عبيد: وحدثني رجل من قريش ذكر أنه من ولد طلحة بن عبيد الله، قال: كان توبة بن الصمة بالرقة، وكان محاسباً لنفسه، فحَسَبَ فإذا هو ابن ستين سنة، فحسب أيامها فإذا هي أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم، فصرخ وقال: يا ويلتي، ألقى المليك بأحد وعشرين ألف ذنب؟ كيف، وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب، ثُمَّ خرَّ مغشيّاً عليه، فإذا هو ميت، فسمعوا قائلاً يقول: يا لكِ ركضة إلى الفردوس الأعلى(٢).

* * *

قد أشرنا في هذا الكتاب إلى ما يكفي فيما قصدنا له، وسِيَرُ المجتهدين كثيرة، وإنما ذكرنا نبذة من أمّهات السِّيَر والمعاني، ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

---

(١) «صفة الصفوة» للمصنف (٣٤٨/٣).

(٢) أخرجه ابن أبـي الدنيا في «محاسبة النفس» (٧٦).

ويستحب لمن نظر في كتابنا هذا أن يضيف إليه كتاب «العزلة»، فإنه أصل في مبادرة العمر، وكتاب «الإخلاص» فهو أصل الأصول.

نسأل الله عز وجل توفيقاً يَحرسنا من الزَّلل، ويحثّنا على الجدّ والإخلاص في العمل. والله الموفق.

* * *

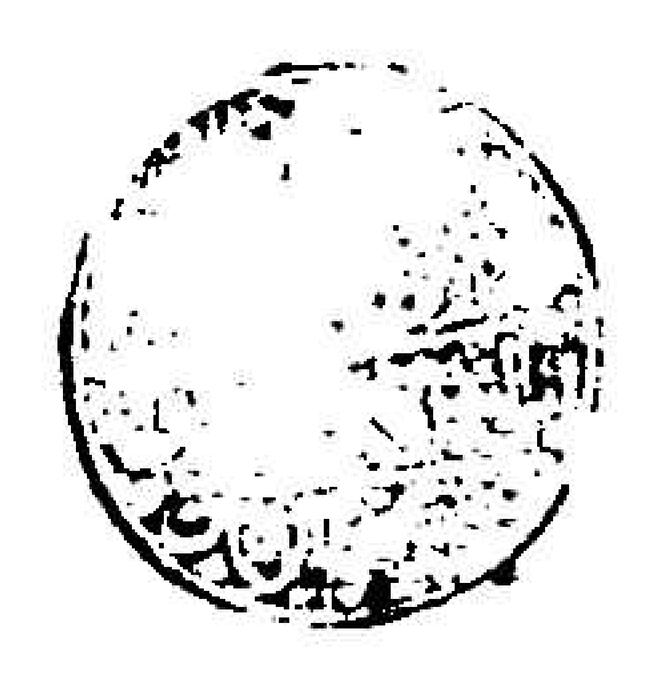
انتهى

كتاب حفظ العمر

لأبـي الفرج ابن الجوزي رحمه الله[1]

(١) وفي آخر نسخة الأصل: وتمَّ ظهر يوم الأحد ثامن عشر ذي القعدة الحرام سنة ألف ومائة وإحدى وعشرين بمكة المُشَرفة. وكتبه: العبد مصطفى بن فتح الله الحموي الشَّافعي، عفى الله عنهما بمنه، وصلى الله على سيِّدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

آخر الجزء الأول من كتاب الترمذي

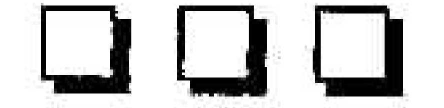


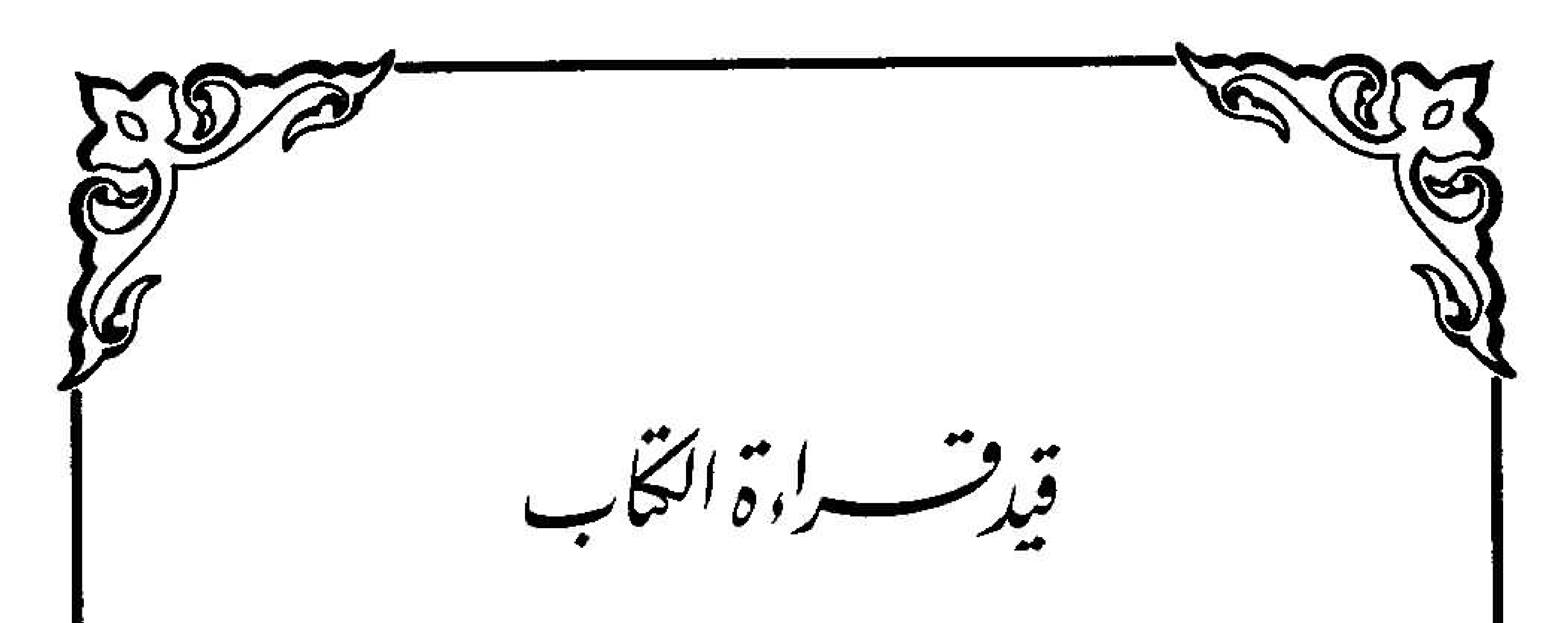
نموذج من خط ابن الجوزي، وذلك من «سنن الترمذي»، وقد انتهى من نسخِهِ سنة (٥٣٦هـ)، وكان عمره آنذاك (٢٦) سنة، نسخة أحمد الثالث باستنبول برقم (٧٠٠٥)، قال سِبْط ابن الجوزي: سمعت جدي يقول: بأصبعي هاتين كتبت ألفي مجلدة.

رِوَايَةُ الكِتَابِ وَالاتِّصَالُ بِمُؤَلِّفِهِ

أروي هذا الكتاب إجازة عن العلامة الشيخ حمود بن عبد الله التويجري الحنبلي، عن عبد الله بن عبد العزيز العنقري الحنبلي، عن سعد بن حمد بن عتيق الحنبلي، عن أحمد بن إبراهيم بن عيسى الحنبلي، عن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن الحنبلي، عن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الحنبلي، عن والده المجدد محمد بن عبد الوهاب الحنبلي، عن عبد الله بن إبراهيم بن سيف الفرضي الحنبلي، عن أبي المواهب محمد بن عبد الباقي الحنبلي، عن والده عبد الباقي بن عبد الباقي الحنبلي، وبدر الدِّين البَلْبَاني الحنبلي، كلاهما عن أحمد الوفائي المفلحي الحنبلي، عن موسى بن أحمد الحجاوي الحنبلي، عن أحمد بن محمد الشويكي الحنبلي، عن يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي، عن جده أحمد بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي، عن الصلاح بن أبي عمر الحنبلي، عن الفخر علي بن أحمد المقدسي الشهير بابن البخاري الحنبلي، عن مؤلفه الحافظ عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الحنبلي.

وهذا إسناد حنبلي من أوله إلى آخره؛ وذلك بمناسبة أن المؤلف حنبلي، والمدرسة المقروء فيها الكتاب حنبلية.

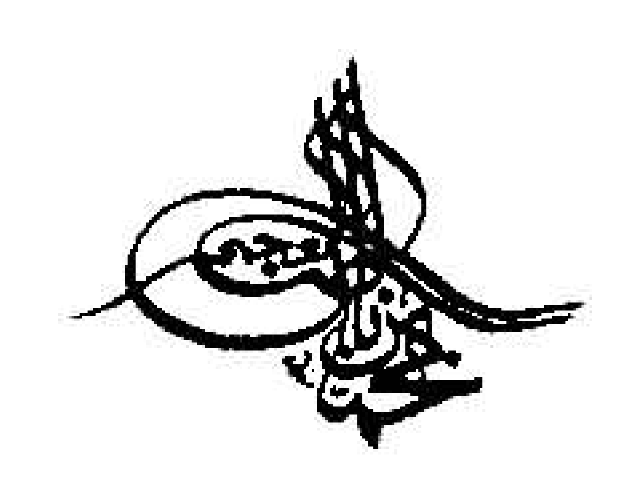



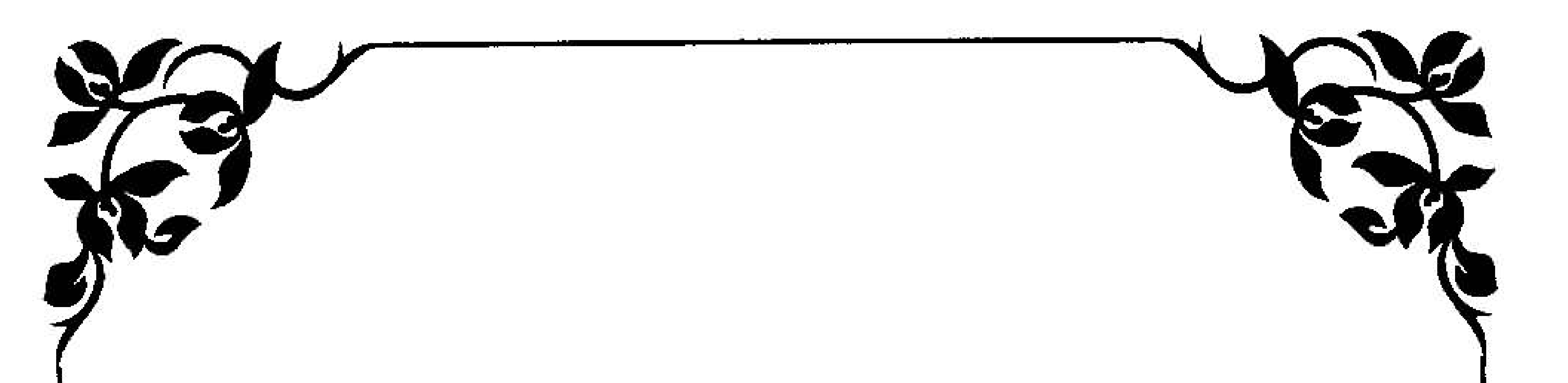
قيد قراءة الكتاب

• انتهيت من مقابلته على أصلَيْهِ بقراءة الأخ الشيخ محمد مجير الخطيب على باب مدرسة دار الحديث الأشرفية البرانية بسفح قاسيون، وبحضور الأخ الشيخ محمد وائل الحنبلي ومتابعته، وبحضور كذلك الأخ الشيخ محمود التيناوي إمام مصلى مدرسة دار القرآن الدلامية القريبة من دار الحديث المذكورة؛ وذلك صبيحة يوم الأحد في التاسع من شعبان المكرم سنة (١٤٢٤هـ).

سلامٌ على تِلْكَ المعاهِدِ إنها مرابع قلبي وهي عهد الأكابرِ

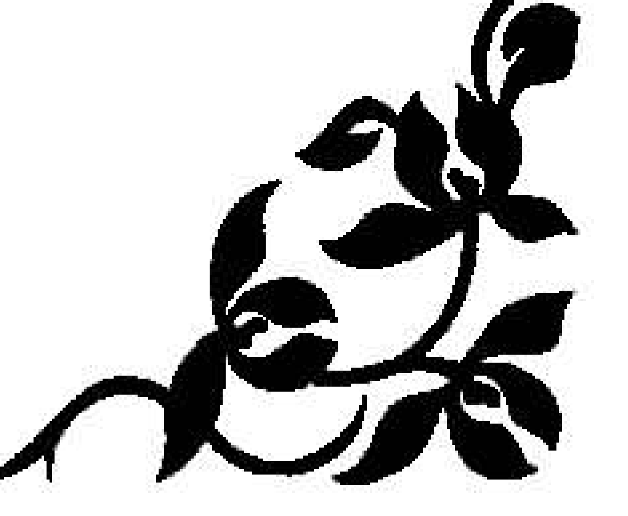






الفهـارس

* فهرس الأحاديث النبوية .
* فهرس الأعلام .
* المحتوى .

فهرس الأحاديث النبوية

❑❑❑

فهرس الأعلام

❑ ❑ ❑

المحتوى

نص الكتاب

الموضوع	الصفحة

• • •

من آثار المحقق

١ ــ **فضل علم السَّلف على علم الخلف**: للحافظ زين الدِّين عبد الرحمـٰن بن رجب الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٦هـ، (ثم أعيد طبعه سنة ١٤٢٤هـ).

٢ ــ **نور الاقتباس في مشكاة وصيَّة النبي ﷺ لابن عباس**: للحافظ ابن رجب الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٤هـ، (ثم أعيد طبعه سنة ١٤٢٤هـ).

٣ ــ **تفسير سورة الإخلاص**: لابن رجب الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤٢١هـ.

٤ ــ **تفسير سورة النصر**: للحافظ ابن رجب الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤٢١هـ.

٥ ــ **زغل العلم**: للحافظ شمس الدِّين الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨هـ، مكتبة الصحوة الإسلامية، الكويت ١٤٠٤هـ.

٦ ــ **تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في منهاج البيضاوي**: للحافظ العراقي، المتوفى سنة ٨٠٦هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤٠٩هـ.

٧ ــ **التنقيح في حديث التسبيح** (شرح حديث: كلمتان حبيبتان إلى الرحمـٰن): للحافظ ابن ناصر الدِّين الدِّمشقي، المتوفى سنة ٨٤٢هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٣هـ.

٨ ــ **تحفة الإخباري بترجمة البخاري**: للحافظ ابن ناصر الدِّين الدمشقي، المتوفى سنة ٨٤٢هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٣هـ.

٩ ــ **كتاب الأربعين**: للحسن بن سفيان، المتوفى سنة ٣٠٣هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٤هـ.

١٠ ــ **صفحات في ترجمة الإمام السفاريني**: (تأليف)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٣هـ.

١١ ــ **علاَّمة الكويت الشيخ عبد الله الخلف الدحيَّان حياته وآثاره**: (تأليف)، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت ١٤١٥هـ.

١٢ ــ **ثلاث تراجم نفيسة للحافظ الذهبي**: المتوفى سنة ٧٤٨هـ، دار ابن الأثير، الكويت ١٤١٥هـ.

١٣ ــ **الخطب المنبرية**: للعلاَّمة عبد الله بن خلف بن دحيان، بيت التمويل الكويتي، الكويت ١٤١٦هـ.

١٤ ــ **نوادر مخطوطات علاَّمة الكويت الشيخ عبد الله الخلف الدحيَّان**: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت ١٤١٦هـ.

١٥ ــ **أخصر المختصرات**: للبلباني مع حاشيته، لابن بدران، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٦هـ.

١٦ ــ **مشيخة فخر الدِّين ابن البخاري**: المتوفى سنة ٦٩٠هـ، (عناية وفهرسة للأحاديث)، الكويت ــ الأمانة العامة للأوقاف ١٤١٦هـ.

١٧ ــ **أضواء على الحجج الوقفية الأصلية في الأمانة للأوقاف**: (إعداد)، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت ١٤١٦هـ.

١٨ ــ **روضة الأرواح**: لعبد القادر بن بدران الدمشقي، الكويت ــ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ١٤١٧هـ.

١٩ ــ **درَّة الغوَّاص في حكم الذَّكاة بالرصاص**: لابن بدران الدمشقي، مطبوعة مع الرسالة السابقة.

٢٠ ــ **علاَّمة الشام عبد القادر بن بدران الدمشقي حياته وآثاره**: (تأليف)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٧هـ.

٢١ ــ **حياة العلاَّمة أحمد تيمور باشا**: بقلم محمد كردعلي وبعض معاصريه، (جمع وعناية)، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت ١٤١٧هـ.

٢٢ ــ **سير الحاثّ إلى علم الطلاق الثلاث**: لابن عبد الهادي، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٧هـ.

٢٣ ــ **بداية العابد وكفاية الزاهد**: للعلاَّمة عبد الرحمـٰن البعلي الحنبلي، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٧هـ.

٢٤ ــ **الألفية في الآداب الشرعية**: لابن عبد القوي، (عناية وضبط)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٨هـ.

٢٥ ــ **نتيجة الفكر فيمن درَّس تحت قبة النَّسر**: للعلاَّمة عبد الرزاق بن حسن البيطار، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٩هـ.

٢٦ ــ **مختصر الإفادات في ربع العبادات والآداب وزيادات**: للإمام محمد بن بدر الدِّين بن بلبان الدمشقي، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٩هـ.

٢٧ ــ **ثبت مفتي الحنابلة بدمشق الشيخ عبد القادر التغلبي**: تخريج تلميذه مفتي الشافعية محمد بن عبد الرحمـٰن الغزِّي، (عناية)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٩هـ.

٢٨ ــ **آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل**: (تأليف)، دار البشائر الإسلامية ــ بيروت، لبنان ١٤٢٠هـ.

٢٩ ــ **تعليق لطيف على آخر حديث في رياض الصالحين**: للعلاَّمة قاسم بن صالح القاسمي (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤٢٠هـ.

٣٠ ــ **مفتاح طريق الأولياء**: لابن شيخ الحَزَّامين أحمد بن إبراهيم، (عناية وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤٢٠هـ.

٣١ ــ **نبذة لطيفة ونصيحة شريفة**: للشيخ حسن بن أحمد سبط الدسوقي، مطبوعة مع الرسالة السابقة.

٣٢ ــ **الوعظ المطلوب من قوت القلوب**: للعلاَّمة جمال الدين القاسمي، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان، ١٤٢١هـ.

٣٣ ــ **العروس المجلية في أسانيد الحديث المسلسل بالأولية**: لصفي الدين البخاري، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان، ١٤٢١هـ.

٣٤ ــ **إرشاد العباد في فضل الجهاد**: لحسن بن إبراهيم البيطار، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان، ١٤٢١هـ.

٣٥ ــ **سر الاستغفار عقب الصلوات**: للعلاَّمة جمال الدين القاسمي، (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان، ١٤٢١هـ.

٣٦ ــ **ثمرة التسارع إلى الحب في الله وترك التقاطع**: للعلاَّمة القاسمي، (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان، ١٤٢١هـ.

٣٧ ــ **أديب علماء الشام الشيخ عبد الرزاق البيطار**: (تأليف)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان، ١٤٢١هـ.

٣٨ ــ **بلوغ القاصد جلّ المقاصد لشرح بداية العابد وكفاية الزاهد**: للعلاَّمة عبد الرحمـٰن البعلي الحنبلي، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان، ١٤٢١هـ.

٣٩ ــ **إجازة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ**: للشيخ أحمد بن عيسى والشيخ راشد بن عيسى، (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان، ١٤٢٢هـ.

٤٠ ــ **كشف المخدَّرات لشرح أخصر المختصرات**: للعلاَّمة عبد الرحمن البعلي الحنبلي، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان، ١٤٢٣هـ.

٤١ ــ **تفريج الكروب في تعزيل الدُّروب**: للعلاَّمة عبد الرحمن بن أبي بكر بن داود الحنبلي، (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان، ١٤٢٣هـ.

٤٢ ــ مأخذ العلم: لأحمد بن فارس اللغوي، (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان، ١٤٢٤هـ.

٤٣ ــ إجازة مفتي الشافعية بدمشق محمد بن عبد الرحمن الغَزِّي: للشيخ علي بن مصطفى الدبّاغ، (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان، ١٤٢٥هـ.

من إصدارات المحقق الجديدة

سلسلة الكتب والأجزاء المقروءة في جوامع ودور الحديث بدمشق

٤٤ ــ (١) كتاب الأوائل: لابن أبي عاصم.

٤٥ ــ (٢) الأربعون الأبدال العوالي المسموعة بالجامع الأُموي بدمشق: للحافظ ابن عساكر.

٤٦ ــ (٣) تنبيه النائم الغَمْرِ على مواسم العُمْرِ: لابن الجوزي.

٤٧ ــ (٤) حفظ العمر: لابن الجوزي أيضاً.

٤٨ ــ (٥) ثبت الإمام السفاريني الحنبليِّ وإجازاته لطائفة من أعيان علماء عصره.

٤٩ ــ (٦) مشيخة ابن إمام الصخرة: تخريج ابن رافع السلامي.

٥٠ ــ (٧) ثبت مسند عصره شمس الدِّين البابلي، المسمَّى: منتخب الأسانيد: لأبي مهدي الثعالبي.

٥١ ــ (٨) ومعه المربى الكابلي فيمن روى عن الشمس البابلي: للزبيدي.

٥٢ ــ (٩) ستة مجالس من أمالي أبي يعلى الفرَّاء.

٥٣ ــ (١٠) جزء فيه سبعة مجالس: لأبي طاهر المخلص.

٥٤ ــ (١١) الأحاديث المسموعة في جوامع دمشق وضواحيها: لشمس الدِّين ابن طولون الدِّمشقي.

هذه السلسلة من إصدارات دار البشائر الإسلامية ببيروت ودار الصديق بدمشق.

● ● ●

